روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل
سري جداً!!



الظلال الرهيبة

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدّم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدّى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ حكم بالإعدام ..

ارتفع رنين الهاتف الأحمر الخاص ، فى مكتب القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، على نحو مباغت ، جعل القائد الأعلى ، ووزير الدفاع ، والدكتور (ناظم) ، رئيس قسم الأبحاث العلمية يلتفتون إليه فى حركة حادة ، ثم يتبادلون نظرة مفعمة بالقلق والتوتر ، قبل أن يغمغم القائد الأعلى :

ـ إنه الرئيس .

تمتم وزير الدفاع فى عصبية :

ـ تُرى هل .....

لم يتمّ عبارته ، عندما التقط القائد الأعلى سمّاعة الهاتف فى توتر ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا سيادة الرئيس .

أتاه صوت رئيس الجمهورية ، وهو يسأله بلهجة تشفّ عن قلقه وعصبيّته :

ـ ما الذى يحدث ، فى مدينة (السادس من أكتوبر) ؟!

كان هذا بالتحديد هو السؤال الذى يخشاه القائد الأعلى ، والذى لم يكد يسمعه ، حتى انطلق ذهنه يستعيد كل ما حدث ..

منذ ذلك الانفجار ، فى فيلا الدكتور (وائل شوقى) ، عالم الفيزياء والطاقة ، فى الحى الراقى لمدينة (السادس من أكتوبر) ، والذى أسفر عن فجوة بين عالمنا وعالم آخر ، تحيا فيه ظلال رهيبة ، وسط عواصف جليدية عنيفة ..

ومنذ ذلك الانفجار ، بدأت سلسلة من الحوادث العجيبة ..

والرهيبة ..

وكان على (نور) وفريقه أن يواجهوا كل هذا ..

شخص تصدمه سيارة ، فى منتصف الطريق ، ويتم نقل جثته إلى المستشفى ، فينهض من مرقده ، ويثير موجة هائلة من الرعب ، قبل أن يجتزّ ضابط المستشفى عنقه ..

ومهندس يلقى نفسه عمدًا ، داخل وحدة توليد الكهرباء الرئيسية ..

وشخص مجهول يحاول اختراق حواجز الأمن ،

فتنفجر سيارته ، ولكنه يخرج منها مشتعلاً ، وكأنما لا يشعر بالنيران ، التى تلتهم جسده ، حتى يحطّم رجال الشرطة ساقيه ..

أحداث عجيبة ، مخيفة ، أثارت الفزع فى المدينة كلها ، وأقلقت (نور) وفريقه كثيرًا ، وخاصة عندما وصلت فرقة من القوات الخاصة بغتة إلى المدينة ، التى تم عزلها عن كل ما حولها تمامًا ، بسد مداخلها ومخارجها ، ومحاصرتها بقوات الجيش ، وإحاطتها بقبة من الطاقة الكهرومغنطيسية ، لمنع كل الاتصالات السلكية واللاسلكية منها وإليها ..

ولسبب ما ، تم استبعاد (نور) وفريقه من المهمة ، وإسنادها إلى العقيد (باسل بهجت) ، قائد فرقة القوات الخاصة ، الذى يبغضهم كل البغض ..

وتتوتّر الأمور وتتطوّر أكثر وأكثر ، حتى تصدر الأوامر بإخراج (نور) وفريقه من المدينة ، وإعادتهم فورًا إلى (القاهرة) ، بعد نزع أسلحتهم ، و ...

« ماذا يحدث أيها القائد الأعلى ؟! أجب .. »

انتزع صوت رئيس الجمهورية القائد الأعلى من أفكاره ، فانتفض فى مجلسه ، مجيبًا فى توتر شديد ملحوظ :

- إنها بعض الاضطرابات الأمنية يا سيادة الرئيس .

هتف الرئيس :

- اضطرابات أمنية ؟! ماذا تعنى بالكلمة ؟! ولماذا لم يتمَ إبلاغى فورًا ؟!

تبادل القائد الأعلى نظرة شديدة التوتر ، مع الدكتور (ناظم) ووزير الدفاع ، قبل أن يجيب :

- لقد اتخذنا كل الإجراءات اللازمة يا سيادة الرئيس ، ولم نشأ أن ..

قاطعه الرئيس فى غضب :

- لم تشأ ؟! أى قول هذا يا قائد المخابرات العلمية الأعلى ؟! النظم التى يتبعها كلانا لا شأن لها بالمشيئة الشخصية .. المفترض أن يتم إبلاغى بمثل هذه الأمور فورًا .

تضاعف توتر القائد الأعلى ، وهو يقول :

- بالطبع يا سيادة الرئيس .. بالطبع .. ونحن بصدد إعداد تقرير مشترك .. وزير الدفاع ، والدكتور (ناظم) ، وأنا ، لنرسله إليك على الفور .

أجابه الرئيس ، فى صرامة غاضبة :

- أتعشَم أن يصلنى بأقصى سرعة ، وأن يتضمَن

تفسيرًا لحصار المدينة ، وإحاطتها بالقبة الكهرومغنطيسية ، التى تحتم القواعد عدم استخدام تقنيتها ، إلا للضرورة القصوى .

ازدرد القائد الأعلى لعابه فى صعوبة ، وهو يتمتم :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

وأنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى رفيقى حجرته بوجهيهما الشاحبين ، مغمغمًا :

- الأمور تتعقَد أكثر وأكثر .

ران الصمت على المكان بضع لحظات ، قبل أن يشدَ وزير الدفاع قامته ، فى محاولةَ لاستعادة سيطرته على أعصابه ، قبل أن يقول :

- لكل شىء نهاية .

قال الدكتور (ناظم) ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه :

- وكيف يمكن أن ينتهى أمر كهذا ؟!

كرَر وزير الدفاع فى صرامة :

- لكل شىء نهاية .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة متوترة ، قبل أن يسأل الأوَل :

- ألديك خطة محدودة ؟!

شدّ الوزير قامته أكثر ، وهو يقول :

- بالتأكيد .

ثم أشاح بوجهه عنهما ، مستطردًا فى حزم :

- كل شىء سيسير على ما يرام ، وفقًا لخطة مدروسة .

قال الدكتور (ناظم) فى توتر :

- المهم أن يبدو كل شىء منطقيًا ، فلا داعى لمزيد من التورُّط .

أجابه الوزير فى صرامة :

- لا يوجد كثير من التورُّط أو قليل منه .. هناك تورُّط فحسب ، وهذا ما انغمسنا فيه حتى النخاع .

قال القائد الأعلى :

- ولكن الخطوات الخاطئة ستكشف أمرنا .. نريد أن ينتهى الأمر ، دون أن تحمل نهايته توقيعنا .

أجابه الوزير :

- اطمئن .. القيادة ستقتنع بالتقرير المشترك الذى سنقدِّمه ، كالمعتاد .

قال الدكتور (ناظم) فى عصبية :

- وماذا عن (نور) ؟

صمت الوزير بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى صرامة :

- لا تقلق بشأنه .

قال القائد الأعلى فى عصبية أكبر :

- يبدو أنك لا تعرف (نور) جيِّدًا .. إنه لا ينتمى إلا لعمله وواجبه فحسب ، ولو كشف ما فعلناه ، فلن يتردَّد لحظة واحدة فى الإبلاغ عنا ، حتى ولو أدّى هذا إلى إعدامنا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى وزير الدفاع ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، قائلاً :

- قلت لك لا تقلق بشأنه ، فطبقًا لساعتى ، لم يعد باستطاعته أن يؤذينا ، أو يؤذى أى كائن غيرنا .

التقت نظرات القائد الأعلى والدكتور (ناظم) فى هلع ، قبل أن يهتف الأوَّل :

- ماذا فعلت باللّه عليك ؟!

انعقد حاجباه فى صرامة قاسية ، وهو يقول :

- الضرورى .

اتسعت عيونهما عن آخرها ، وصرخ الدكتور (ناظم) :

- الضرورى ؟! أى ضرورى ؟!
أجابه فى صرامة أكثر قسوة :
- الضرورى لحمايتنا جميعًا .
وانعقد حاجباه أكثر وأكثر ، وهو يضيف :
- ما دام (نور) وفريقه يمثلون الخطر ، كل الخطر لنا ، فلا بديل عن إزاحتهم عن طريقنا .
واكتسى صوته بنبرة مخيفة ، وهو يكمل :
- إلى الأبد .
واتسعت عينا القائد الأعلى والدكتور (ناظم) ، فى ارتياع أكثر وأكثر ، قبل أن يتهاوى الأوَّل على مقعده ، وهو يتمتم :
- ربَّاه ! ما الذى فعلناه ؟! ما الذى فعلناه ؟!
وتردَّد سؤاله فى الحجرة بلا جواب ، وكأنما تحوَّل إلى جزء من غموض وفزع تلك الليلة ..
الليلة التى احتشدت بالمفاجآت ..
بلا نهاية(*) ..

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأوَّل (المجهول) .. المغامرة رقم (١٢١) .

تجمَّدت (سلوى) و(نشوى) فى رعب هائل ، وهما تحدِّقان فى ذلك الجندى القوى البنية ، الذى وقف عند باب حجرتهما بالمستشفى ، يحدِّق فيهما بعينين حمراوين كجمرتين من نار ..
ولثوان ، وقف الجندى يتطلَّع إليهما فى صمت مخيف ، قبل أن يتقدَّم نحوهما فى بطء ..
ويتقدَّم ..
ويتقدَّم ..
وعلى الرغم من حملها ورعبها ، وثبت (سلوى) تعترض طريق الجندى ، وتحمى ابنتها بجسدها ، وهى تهتف بصوت مرتجف ، امتزج خوفه بحزمه :
- إياك أن تقترب من ابنتى .. سأدافع عنها ، حتى آخر قطرة من دمى .
لم يبد حتى أن الجندى قد سمعها ، وهو يواصل اقترابه من فراش (نشوى) ، التى حدَّقت فى عينيه المشتعلتين بنظرة جامدة ، وكأنما تجمَّدت من الرعب ، أو تحوَّلت إلى تمثال لا حياة فيه ..
والتقت عيناها بعينيه المشتعلتين طويلاً ، وكأنما تنساب من عيونهما أحاديث طويلة ..

عميقة ..

مخيفة ..

ثم برز ضابط المستشفى عند الباب ، وهو يصرخ ملوِّحًا بمسدسه :

- ابتعدى يا سيِّدتى .

وفى سرعة وخفة ، تناسبان جسد جندى قوات خاصة ، استدار إليه الجندى ، ورفع فوهة مدفعه الآلى ، و ...

وهنا فقط ، انتزعت (نشوى) نفسها من جمودها وذهولها ورعبها ، وقفزت صارخة :

- لا .

والعجيب أن سبَّابة الجندى ، التى كادت تضغط زناد مدفعه الآلى ، لتطيح بالضابط ، تجمَّدت بغتة فى مكانها ، وإن ظلَّت عيناه تتألَّقان بذلك البريق الأحمر الرهيب ، وشفتاه تنفرجان فى بطء ، لتخرج من بينهما كلمة واحدة غليظة خشنة ، تقول :

- ابتعد .

شعر الضابط وكأن الكلمة قد انغرست فى قلبه ، وذابت فى حجراته ، لتندفع مع دمائه إلى عروقه ، وتسرى فيها كالنيران ..

ولكن شجاعته جعلته يقاوم ذلك الشعور المخيف ، وهو يقول :

- اترك السيدتين .

تألَّقت عينا الجندى أكثر ، وهو يقول بنفس اللغة الخشنة الجافة :

- ابتعد .

وهتفت (نشوى) :

- ابتعد .. أرجوك .. لا تجازف .

التفتت إليها (سلوى) فى دهشة ، هاتفة :

- (نشوى) ؟! ماذا دهاك ؟! إنه يدافع عنا .

انتفض الضابط مع قولها ، وهتف ، وهو يرفع مسدسه ، فى مواجهة الجندى :

- إنه واجبى .

صرخت (نشوى) مرة أخرى :

- لا ..

وفى نفس اللحظة ، دوت الرصاصات ..

وامتزج دويها بصرخة (سلوى) المرتاعة ، عندما اخترقت الرصاصات جسد الضابط الشجاع ، وانتزعته من مكانه ، لتلقى به ثلاثة أمتار إلى الخلف فى عنف ، قبل أن يسقط جثة هامدة .

وانفجرت (نشوى) باكية ، وهى تهتف :

ـ كنت أعلم أن هذا ما سيحدث .. كنت أعلم هذا .

تراجعت (سلوى) مذعورة ، عندما عاد الجندى يلتفت إليهما ، ويحدجهما بتلك النظرة النارية المشتعلة ، قبل أن يعاود التقدُّم نحوهما فى بطء ..

ومرة أخرى ، ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تهتف :

ـ لا .. لا تقترب من (نشوى) .

ولكن (نشوى) أشارت إليها ، قائلة فى توتر :

ـ لا تحاولى استفزازه يا أمى .. أرجوك .

نقلت (سلوى) بصرها بين ابنتها والجندى الرهيب فى ذعر شديد ، وعقلها يبحث عن وسيلة للدفاع عن (نشوى) ، ومواجهة ذلك العملاق ، الذى أطاح بالضابط فى لحظة واحدة ، وما زال يقترب منهما ..

ويقترب ..

ويقترب ..

الشىء الوحيد الذى جعلها تتجمَّد فى مكانها ، هو أنه قد خفض مدفعه الآلى ، وتوقَّف تمامًا ، عند

الحاجز الخلفى لفراش (نشوى) ، ثم لم يلبث أن التقط من سترته تلك الخزانة الإليكترونية للأسطوانات المدمجة ، ووضعها أمامها ، وهو يردِّد بصوته الخشن الجاف المختنق ، وعيناه المشتعلتان تحدقان فى عينيها مباشرة :

ـ ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء .

وتجمَّدت الدماء فى عروق (سلوى) ..

إنها نفس الأرقام والحروف ، التى ردَّدتها (نشوى) ، داخل فيلا الدكتور (وائل شوقى) ..

نفس ما ردَّدته ، وهى تحت تأثير ذلك الذهول ، الذى أصابها ، عندما انفتحت فجوة الأبعاد مرة ثانية ..

لماذا يردِّدها ذلك الجندى الآن ؟!

ولماذا أحضر تلك الخزانة ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

أما (نشوى) نفسها ، فقد بدت غائبة ، مسلوبة الإرادة ، وهى تحدِّق فى العينين المشتعلتين ، مردِّدة

الأرقام نفسها ، حتى اعتدل الجندى ثانية ، ودار على عقبيه ، بحركة عسكرية صارمة ، ثم غادر الحجرة ، والمستشفى كلها ، وسط حالة من الرعب لا مثيل لها ، ثم لم يلبث أن اختفى وسط الظلام المحيط بها ..

والعجيب أن (سلوى) و(نشوى) لم تنطقا بحرف واحد ، حتى اختفى الجندى ، فانتفضت (سلوى) ، هاتفة :

ـ ربَاه ! لماذا فعل هذا ؟!

أدارت (نشوى) إليها عينيها الذاهلتين فى بطء ، متسائلة :

ـ فعل ماذا ؟!

نطقتها ، وزاغ بصرها على نحو عجيب ، قبل أن تهوى على فراشها فاقدة الوعى ..

وبكل ذعر الدنيا ، احتضنت ابنتها ، صارخة :

ـ النجدة .. فليسعفنا أحدكم .. ابنتى فاقدة الوعى .. النجدة .. النجدة ..

ومع تردُد صرخاتها ، وذلك الرعب ، الذى سرى فى كل خلية من خلاياها ، قفز ذهنها وتفكيرها إلى الشخص الوحيد ، فى الكون كله ، الذى يمكنها أن تشعر بالأمان فى وجوده ..

إلى زوجها .. (نور) ..

وكتداع طبيعى للأفكار ، وجدت نفسها تتساءل :

تُرى ما الذى فعله به العقيد (باسل) ، بعد أن اصطحبه مع (أكرم) و(رمزى) فى سيارة الجيش ؟!

وأين هم الآن ؟!

أين ؟!

أين ؟!

★ ★ ★

لم يستطع العقيد (باسل) إخفاء تشفيه وشماتته ، وهو يشير لجنوده ، استعدادًا لإطلاق النار على (نور) و(أكرم) و(رمزى) ، وسط الظلام ، وانتقلت مشاعره كلها إلى لسانه ، وهو يخفض يده ، هاتفًا :

ـ وداعًا يا منقذ الأرض .

قالها ، وانطلقت من حلقه ضحكة ظافرة ساخرة ، وجنوده يصوبون مدافعهم الليزرية القوية ، و ...

وفجأة ، برز ذلك الظل ..

ظلَ رهيب مخيف ، عبر بغتة أمام مصباحى سيارة (الجيب) العسكرية ، قبل أن يندفع نحو أحد جنود كتيبة الإعدام ، وينقضَ على مؤخرة عنقه مباشرة ..

ومع صرخة الألم والفزع ، التى انطلقت من حنجرة جندى القوات الخاصة ، انقلبت الأمور كلها رأسًا على عقب ..

ففى رد فعل تلقائى ، استدارت فوهات المدافع الليزرية كلها نحو ذلك الجندى ، الذى تألَّقت عيناه فجأة بذلك البريق الأحمر المخيف ، وهو يدير فوهة مدفعه الليزرى نحو رفاقه ..

وانطلقت خيوط الليزر وسط الظلام ..

بلا هوادة ..

ودون أن يضيع ثانية واحدة ، هتف (نور) ، وهو يندفع نحو العقيد (باسل) :

- إنها فرصتنا .

كان الجنود مشغولين بالدفاع عن حياتهم ، وتبادل إطلاق النار مع زميلهم ، الذى اخترقه ذلك الظلَّ الرهيب ، فتراجع العقيد (باسل) فى عصبية ، وهو يستلَّ مسدسه الليزرى ، هاتفًا :

- إلىَّ يا رجال .. امنعوا الأسرى من ...

وثب (نور) نحوه وثبة مدهشة ، وكال له لكمة كالقنبلة ، هاتفًا :

- لن يسمعك أحدهم الآن .

وقفز (أكرم) نحو سيارة (الجيب) العسكرية الخاصة بالعقيد (باسل) ، واحتلَّ مقعد قيادتها ، وأدار محركها فى سرعة ، ولحق به (رمزى) ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها قبضة (نور) الثانية على معدة (باسل) ، وهو يكمل فى صرامة :

- فهم مشغولون بالدفاع عن أنفسهم .

ثم أنهى القتال بلكمة ساحقة ، أصابت أنف الرجل مباشرة ، وهو يضيف :

- إنها سنة الحياة .

وفى نفس اللحظة التى سقط فيها العقيد (باسل) أيضًا ، كان (نور) يثب داخل (الجيب) العسكرية ، وهو يهتف بـ (أكرم) :

- انطلق .

ولم يكن (أكرم) ينتظر هذا الأمر فى الواقع ، فما إن وثب (نور) نحو السيارة ، حتى ضغط هو دوَّاسة الوقود بكل قوته ، فانطلقت (الجيب) تنهب الأرض نهبًا ، حتى إن (نور) قد فقد توازنه ، فسقط داخلها هاتفًا :

- رويدك يا رجل .. كدت تقتلنى .

هتف (أكرم) ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعة ، وبمهارة تستحق الإعجاب :

- فيما بعد يا (نور) .. سنتعاتب فيما بعد .. المهم أن نبتعد عن مستنقع الفساد هذا بأقصى سرعة الآن .

أما العقيد (باسل) ، فعلى الرغم من عنف وقوة ضربات (نور) ، إلا أنها لم تنجح فى إفقاده الوعى ، فهبَّ من سقطته فى سرعة ، واختطف مسدسه الذى سقط أرضًا ، وراح يطلق بعض خيوطه الليزرية خلف سيارته ، التى ينطلق بها (أكرم) مبتعدًا ، ثم لم يلبث أن هتف فى حنق :

- اللعنة !

ثم التفت إلى رجاله ، الذين سقط اثنان منهم ، وهم يقاتلون زميلهم فى شراسة ، وهتف :

- استخدموا الخطة (ياء) .

قالها ، وهو يندفع نحو سيارتهم ، ويختطف منها قضيبان من الصلب ، لكل منهما قاعدة فضية عريضة ، فى حين التقط رجاله الأمر ، ووضعوه موضع التنفيذ

على الفور ، فتوجَهت فوهات مدافعهم الليزرية كلها نحو مدفع زميلهم ، ذى العينين المتوهجتين ، وانطلقت خيوط الليزر لتنسف المدفع على نحو عنيف ، طار معه جسد زميلهم ، ليسقط أرضًا فى قوة ، وقد احترق صدره ، والتهبت يداه ..

ولكن هذا لم يكن له أدنى تأثير عليه ..

لقد وثب واقفًا على قدميه ، مستعيدًا نشاطه وحيويته كلهما ، وكأنما احترقت كل أعصابه الحسية مع إصابته ، ولم يعد يشعر بجراحه وسحجاته وكدماته ، وتلك الحروق فى صدره وكفيه ..

بل لقد تضاعف بريق ووهج عينيه ، وكأنما تتدفق فيها حمم الدنيا كلها ..

ولكن رفاقه استمروا فى تنفيذ الخطة (ياء) ..

لقد انطلقت خيوط مدافعهم الليزرية نحو ساقيه مباشرة ، واخترقتهما فى مواضع شتى ، فى نفس الوقت الذى اندفع فيه العقيد (باسل) نحوه ، وغرس أحد قضيبى الصلب على مسافة متر إلى يمينه ، وهو يهتف :

- واصلوا إطلاق النار .. أريده أن يعجز عن الحركة تمامًا .



وبسرعة غرس العقيد (باسل) القضيب الثانى إلى يسار الجندى المصاب ..

كانت ساقا الجندى قد تمزَّقتا على نحو مخيف ، وراحت الدماء تتدفَّق منهما في غزارة رهيبة ، وعلى الرغم من هذا فقد ظلَّ واقفًا ، صامدًا ، والعقيد (باسل) يصرخ :

- الركبتين .. حطموا الركبتين .

ومع خيوط الليزر ، التى نسفت ركبتى الجندى ، لم يعد بإمكانه الحفاظ على توازنه ، لذا فقد سقط أرضًا ، وانقلب على ظهره ، دون أن تصدر عنه صرخة ألم واحدة ، أو حتى بعض التأوهات الخافتة ..

وبسرعة ، غرس العقيد (باسل) القضيب الثانى ، إلى يسار الجندى المصاب ، وضرب قاعدته بقدمه ، وهو يطلق صرخة ظافرة ..

ومع صرخته ، انطلق أزيز قوى فى المكان ، وانطلقت صاعقة مكتومة ، من طرف أحد القضيبين إلى الآخر ، قبل أن تتكوَّن قبة كهرومغنطيسية متألِّقة حول الجندى المصاب ، فهتف العقيد (باسل) فى انتصار :

- لقد ظفرنا به .

توقَّف رجاله عن إطلاق النار ، وهم يحدقون فى

زميلهم ، الذى رقد على ظهره صامتًا ساكنًا ، مفتوح العينين ، بساقيه الممزَّقتين ، وبركة الدماء التى سالت منهما ، وشعر كل منهم بغصة فى حلقه ، وهو يتخيَّل نفسه فى موضع زميله ، الذى سيطرت عليه تلك الظلال الرهيبة ..

وفى صرامة قاسية ، شدّ العقيد (باسل) قامته ، وهتف :

- كفى .. عودوا إلى رشدكم .. ما حدث لم يكن مفاجئًا .. لقد تلقيتم منذ زمن تدريبات خاصة بهذا الشأن ، وتعلمون أن ما حدث كان أحد الأمور المتوقَّعة ، والاحتمالات المفترضة ، فى مواجهة كهذه .. لا أريد أية عواطف أو مشاعر سخيفة الآن .. إنها الحرب .. وفى الحروب تحدث الكثير من المآسى والكوارث والصدمات ، والخاسر وحده من يتوقَّف ليبكى ، ويسمح لعدوه بالتقدُّم والترقِّى ، فى الوقت الذى ينشغل فيه بمسحِ دموعه .. هيَّا .. أريد أمامى جنودًا أقوياء .. رجالاً من الصلب ، لا قلوب لهم .. وحوش يهابهم العدو ، وينهار أمامهم الخصوم .. هل تفهمون ؟!

تبادل الرجال نظرة متوترة ، قبل أن يتخذوا وقفة عسكرية حازمة ، فتألقت عيناه ، وهو يشير إلى القبة الكهرومغنطيسية ، متابعًا :

- الآن سقط أحد تلك الظلال فى قبضتنا .. لن يمكنه الخروج ومغادرة تلك القبة الكهرومغنطيسية ، لذا فسيتم نقله داخلها إلى (القاهرة) ، و ...

هتف أحد الجنود يقاطعه فى ذعر :

- سيِّدى .. انظر ..

التفت (باسل) فى سرعة إلى حيث يشير الرجل ، وانعقد حاجباه فى شدة ، عندما رأى ذلك الجندى المصاب ينتزع من حزامه قنبلة يدوية ، وينتزع فتيلها ، و ...

« لا .. امنعوه .. »

صرخ العقيد (باسل) بالعبارة ، وهو يقفز نحو القبة الكهرومغنطيسية ..

ولكن القنبلة كانت أسبق إلى الاشتعال ..

فدوى الانفجار ..

ومع عنف الانفجار ، تمزَّق جسد الجندى إلى أشلاء ، وسقط القضيبان الفولاذيان ، وتلاشت القبة

الكهرومغنطيسية بغتة ، وانطلقت موجة تضاغطيـة قوية ، دفعت جسد العقيد (باسل) وجنوده عدة أمتار إلى الخلف ، ليسقطوا جميعًا فى عنف ، وسط عاصفة من التراب والدخان والدوى والضجيج ..

وفى سرعة ، تلاشى كل هذا ، والعقيد (باسل) يهتف فى غضب ثائر :

- اللعنة ! اللعنة !

ونهض من سقطته ، وهو ينفض الغبار عن زيه العسكرى ، مستطردًا :

- يا للسخافة ! كل شىء يسير على نحو مستفز .

سأله أحد الجنود فى توتر :

- سيّدى .. ماذا عن ذلك الظل ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- لقد انتهى أمره .. لم يعد بإمكانه إيذاؤنا الآن .

ثم التفت إلى الجنود ، مستطردًا فى صرامة :

- وعلى كل الأحوال ، فهو ليس هدفنا الأوّل الآن .

تبادل الجنود نظرة قلق حائرة ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، فى حين تابع (باسل) ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتحرّك فى عصبية :

- الهدف الرئيسى الآن هو استعادة الأسرى ، الذين استغلوا تلك المفاجأة للفرار .. إنهم ليسوا مجموعة عادية من الأسرى كما تعلمون ، بل فريق من المحترفين ، على أعلى مستوى من الخبرة ، ولن يكون العثور عليهم سهلاً أو ميسورًا ، خاصة وأننا قد فقدنا عامل المباغتة ، وأصبح الفريق كله يدرك هدفنا الحقيقى ، وهو التخلُّص منهم ، مما يعنى أن أحدهم لن يدخر جهدًا لمقاتلتنا والتصدّى لنا ، ويعنى أيضًا أنهم سيسعون للاختباء والاختفاء ، وربما للمقاومة والقتال أيضًا .. وعلينا أن نستعد لهذا .

قال أحد الجنود فى حماس :

- لن يمكنهم مغادرة المدينة أيها القائد .

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

- لا أحد .. ولا شىء يمكنه أن يغادر المدينة ، وهذه نقطة لصالحنا ، فنحن نسيطر على الموقف من كل الوجوه ، ورجالنا ينتشرون فى كل مكان ، وكل ما علينا الآن هو أن نحصنهم ضد تلك الظلال اللعينة ، وبعدها نركز جهودنا جميعًا على هدف واحد .

وبرقت عيناه فى شراسة ، وهو يضيف :

ـ العثور على (نور) وفريقه ، و ... وسحقهم سحقًا .

وازداد بريق عينيه التماعًا ..

وشراسة .

★ ★ ★

٢ـ الحرب ..

« هل تعتقد أن ما قاله ذلك الوغد صحيحًا يا (نور) ؟! »

ألقى (رمزى) هذا السؤال فى توتر بالغ ، و(أكرم) ينطلق بالسيارة (الجيب) ، عائدًا إلى المدينة ، فهزَّ (نور) رأسه ، وأطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى يا (رمزى) .. صدقنى .. لست أدرى .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ لست أصدِّق كلمة واحدة مما نطق به ذلك الرجل .. الأوغاد لا يميلون قط إلى الحقائق .. الإدارة لا يمكن أن تسعى للقضاء علينا أبدًا .. إننا رجالها .. بل أفضل فريق علمى فيها .

تراجع (رمزى) فى مقعده ، قائلاً :

ـ المشكلة أن الرجل لم يكن يكذب يا (أكرم) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، فى حين ضغط (أكرم) فرامل السيارة فى قوة ، فانطلق من إطاراتها صرير مخيف ، وهى تدور حول نفسها ، وتتوقف إلى جانب الطريق ، على نحو اختلَّ معه توازن (نور) و(رمزى) ، فى حين التفت (أكرم) إلى هذا الأخير ، هاتفًا فى استنكار عصبى :

ـ ماذا تعنى يا (رمزى) ؟ هل حاولت الإدارة التخلُّص منا بالفعل ؟!

زفر (رمزى) فى توتر ، مجيبًا :

ـ على الأقل ذلك الرجل كان مقتنعًا بهذا .

هتف (أكرم) :

ـ ولكن لماذا ؟! ماذا فعلنا لنستحق هذا ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ تحرَّكنا دون أوامر مباشرة .

التفت إليه (أكرم) ، هاتفًا :

ـ وماذا فى هذا ؟! إننا نتحرَّك على النحو نفسه دائمًا ، لنتفقَّد أى حادث غامض .. إنه عملنا يا (نور) .. أليس كذلك ؟!

قال (نور) بنفس الصرامة :

ـ هذه المرة الأمر يختلف .

سأله مختنقًا :

ـ فيم ؟!

صمت (نور) لحظة ، ثم هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .

حدَّق (أكرم) فى وجهه بضع لحظات ، قبل أن يتراجع إلى مقعده ، ويهزَّ رأسه فى قوة ، قائلاً فى حنق :

ـ فى كل مهمة ، كنت أشعر دومًا بأننى أقل الجميع فهمًا ، أما فى هذه المرة ، فيبدو لى أن أحدًا لا يفهم ما يحدث هنا .

تبادل (نور) و (رمزى) نظرة صامتة متوترة ، قبل أن يقول الأوَّل بلهجة آمرة :

ـ انطلق يا (أكرم) .

سأله فى عصبية ، وهو يدير محرك السيارة ثانية :

ـ إلى أين ؟!

أجابه (نور) :

ـ إلى المستشفى .. فما دام ذلك الوغد قد سعى لقتلنا ، فهذا يعنى أن(سلوى) و(نشوى) أيضًا فى خطر .

اتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يهتف مذعورًا :

- ربّاه ! (مشيرة) ؟!

وانطلق بالسيارة مرة أخرى بأقصى سرعة ، و(رمزى) يسأل (نور) :

- هل تعتقد أننا سنجدهم فى انتظارنا بالمستشفى ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- بالتأكيد .. العقيد (باسل) لن يضيع وقته سدى .. إنه يعلم كمحترف أننا سنتجه إلى المستشفى حتمًا ، فى محاولة لإنقاذ (سلوى) و(نشوى) ، لذا فسيأمر فريقًا من رجاله بانتظارنا هناك ، وصنع كمين لاصطيادنا .

قال (رمزى) :

- ولكنه يدرك أيضًا أننا محترفون ، وأننا سندرك ما سيفعله .

أشار (نور) بسبّابته ، قائلاً :

- ولكننا مضطرون للذهاب إلى المستشفى ، ما دامت (سلوى) و(نشوى) هناك ، وهذا ما سيعتمد عليه .

هتف (أكرم) :

- وماذا عن (مشيرة) ؟!

أجابه (نور) :

- لست أعتقد أنه سيوليها اهتمامه فى هذه المرحلة ، فهى مجرّد صحفية ، وليست عضوًا بالفريق ، وهذا يعنى أنه ليست لديها معلومات تحتم التخلص منها .

هتف (أكرم) :

- حمدًا لله .. إنها أكثر مرة أشعر فيها بالسعادة ؛ لأنها عجزت عن الحصول على أية معلومات .

قال (رمزى) فى توتر :

- المهم الآن ما الذى سنفعله ؟!

صمت (نور) بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- نحن نعلم أن العقيد (باسل) محترف ، وأنه يعلم أننا أيضًا محترفون ، وسندرك وجود كمين ما عند المستشفى ، ولكنه يعتمد على حتمية ذهابنا إلى هناك ، لحماية وإنقاذ (سلوى) و(نشوى) ، بعد أن أدركنا هدفه ، لذا فسيسعى لإتقان الكمين إلى أقصى حد ، ليضمن سقوطنا فيه ، مهما بلغ حذرنا .. لذا فأفضل

ما نفعله هو أن نتصرَّف على نحو يخالف كل ما يمكن أن يتوقَّعه .

سأله (أكرم) فى قلق :

- هل تعنى ألا نذهب إلى المستشفى ؟!

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

- بل أعنى أن نذهب إليها .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف ، مشيرًا بسبَّابته فى حزم :

- مباشرة .

ولم يفهم (نور) و(رمزى) ما يعنيه بقوله هذا .. لذا ، فقد بدا لهما قوله غامضًا .. للغاية ..

★ ★ ★

هوى قلب (مشيرة) بين قدميها ، مع صوت انطلاق المدفع الليزرى ، وقفزت من مقعدها ، هاتفة فى ارتياع :

- يا إلهى ! (هيثم) !

أما الأستاذ (حسن) ، فقد انطلق يعدو نحو المطبخ ، صائحًا :

- يا للأوغاد ! إنه مجرَّد صبى .

كان يستعد للخروج من الباب الخلفى ، عندما شاهد جسدًا يثب عبر النافذة إلى الداخل ، فاختطف سكينًا كبيرة ، وهو يهتف :

- أيها الـ ...

قاطعه صوت طفولى ، يصيح :

- إنه أنا .

سقطت السكين من يده ، وهو يحدِّق فى الصبى ، فى نفس اللحظة التى اقتحمت فيها زوجته و(مشيرة) المكان ، وهتفت الأخيرة فى سعادة :

- (هيثم) !! أأنت بخير ؟!

هزَّ الصبى كفيه فى بساطة ، قائلاً :

- بالتأكيد .. هل تتصوَّرون أنه من السهل أن يكشفوا أمرى ؟!

سألته الزوجة فى توتر :

- ماذا حدث بالخارج إذن ؟! ولماذا عدت إلى هنا ؟!

بدا من الواضح أن السؤال الأخير لم يرق له ، فقد عقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة ، لا تتناسب قط مع عمره :

- عدت لأخبركم ما حدث بالخارج .

سألته (مشيرة) فى لهفة :

- وماذا حدث ؟!

شمله الحماس بغتة ، وهو يلوِّح بذراعيه الصغيرتينّ ، هاتفًا :

- إنه أحد جنودهم .. لقد أصابته لوثة عجيبة ، فقتل اثنين من العلماء ، وأصاب أحد زملائه ، وهو ينطلق مبتعدًا من هنا .

سأله الأستاذ (حسن) مأخوذًا :

- هل أصابه انهيار عصبى ؟!

أشار (هيثم) إلى عينيه ، قائلاً فى حزم :

- الانهيار العصبى لا يجعل العينين تشتعلان كاللهب .

تبادل الناضجون الثلاثة نظرة مفعمة بالتوتّر ، قبل أن تضع (مشيرة) يدها على كتف الصبى ، قائلة فى انفعال :

- يبدو أنه عليك أن تقصّ علينا ما رأيته بكل التفاصيل يا (هيثم) .

تنهَّد الأستاذ (حسن) ، قائلاً :

- سأصنع بعض القهوة .

ثم رمق الصبى بنظرة صارمة ، مستطردًا :

- وكوبًا من اللبن الدافئ .

ألقى عليه الصبى نظرة جانبية متحدية ، قبل أن يقول :

- يدهشنى أن ناضجًا مثلك ما زال يميل إلى شرب اللبن يا أستاذ (حسن) ، أما بالنسبة لى ، فأرجو أن تستبدل بالقهوة كوبًا من عصير البرتقال .

أخفت زوجة (حسن) ضحكتها بكفها ، وابتسمت (مشيرة) ، وهى تربِّت على كتف الصبى ، وتقوده إلى حجرة المعيشة ، فى حين هزَّ الأستاذ (حسن) رأسه ، وقال فى حدة :

- يا له من جيل !

وفى حجرة المعيشة ، وبينما يتناول عصير البرتقال ، شرح لهم الصبى ما حدث عند الفيلا ، وما شاهده من جدارها الخلفى نصف المتهدِّم ، عندما قتل الجندى العالِمَين ، واستولى على خزانة الأسطوانات المدمجة ، وانطلق بالسيارة ، واستمع إليه الثلاثة فى صمت مبهور ، قبل أن يقول الأستاذ (حسن) :

ـ عجبًا .. أأنت واثق من أنه لم يطلق النار على العالِمَ الثانى ، إلا عندما هاجمه من الخلف ؟!
أومأ الصبى برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ هذا صحيح .. من الواضح أنه لا يقتل لمجرَّد القتل .. لقد دافع عن وجوده فحسب .
سألته (مشيرة) بغتة :
ـ لماذا استخدمت هذا المصطلح يا (هيثم) ؟!
سألها فى حيرة :
ـ أى مصطلح ؟!
عادت تسأله فى اهتمام :
ـ لماذا قلت : إنه دافع عن وجوده ، ولم تقل : إنه دافع عن حياته .
غمغم فى دهشة :
ـ حياته ؟!
وتطلَّع إليها لحظة فى حيرة ، وكأنما يبحث عن كلمات مناسبة ، قبل أن يكمل :
ـ ربما لأنه لم يبد لى آدميًا يا سيِّدة (مشيرة) .
امتقع وجه الزوجة فى هلع ، وتمتم الأستاذ (حسن) :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !
أما (مشيرة) ، فقد انعقد حاجباها فى شدة ، وتراجعت فى مقعدها فى بطء ، قائلة :
ـ إنهم هنا ؟!
التفت إليها الأستاذ (حسن) هاتفًا فى ارتياع :
ـ هنا ؟!
أشارت بسبَّابتها ، قائلة :
ـ هذا ما قاله الدكتور (وائل) ، قبل أن يلقى مصرعه .. إنهم هنا .. لقد كان يتحدَّث عن مخلوقات أخرى ، نقلتها تجربته الرهيبة إلى عالمنا .
تلفتت الزوجة حولها فى توتر بالغ ، وهى تتمتم :
ـ سيِّدة (مشيرة) .. إنك تخيفيننى !
تابعت (مشيرة) ، وهى تعتدل فى مجلسها ، وكأنها لم تسمعها :
ـ و(نور) يعلم بأمر تلك المخلوقات .. كلهم يعلمون بأمرها ، ولهذا جاء رجال القوات الخاصة ، وحاصروا المدينة ..
سألها الأستاذ (حسن) فى عصبية :
ـ لو أن تلك المخلوقات هنا ، فلماذا لم يخرجونا من المدينة ؟!

أجابته فى سرعة :
- لأنها تشبهنا .
هتف (هيثم) فى حماس :
- ولكن عيونها تشتعل كاللهب .
أشارت إليه (مشيرة) ، هاتفة :
- بالضبط .
صاح الأستاذ (حسن) :
- كفى .. حديثكما يثير فى نفسنا الفزع .
التفتت إليه ، قائلة فى حزم :
- ليت الأمر يقتصر على حديثنا .
سألتها زوجته مذعورة :
- ماذا تعنين ؟! ماذا تعنين ؟!
تجاهلتها (مشيرة) مرة أخرى ، وهى تلتفت إلى (هيثم) ، قائلة :
- (هيثم) .. هل يمكنك أن ...
بترت حديثها بغتة ، عندما شاهدت النظرة المبهورة فى عينيه ، وهو يحدِّق عبر النافذة ، فالتفتت مع الأستاذ (حسن) وزوجته إلى حيث ينظر ، وشهقت :
- يا إلهى !

فالمشهد الذى رآه الجميع أمامهم كان عجيبًا .. عجيبًا بحق ..

★ ★ ★

« ماذا حدث يا (نشوى) ؟! »
ألقى الدكتور (حجازى) السؤال على (نشوى) فى خفوت ، وهو يتطلَّع إلى عينيها مباشرة ، فى حين وقفت (سلوى) خلفه ، تقول فى قلق بالغ :
- أخبرينا يابنتى .. أخبرينا بالله عليك .
هزَّت (نشوى) رأسها ، مغمغمة :
- لست أدرى يا أمى .. حقيقة لست أدرى .. لقد تطلَّع إلى عينىَّ ، بتلك النظرة المخيفة ، وسمعته يخبرنى أننى أملهم الوحيد ، و ...
قاطعتها (سلوى) فى دهشة مستنكرة :
- أخبرك ؟! ولكنه لم يخبرك شيئًا يا (نشوى) .. كل ما نطق به هو مجموعة من الأرقام والحروف فحسب .
بدت عليها الحيرة ، وهى تقول ؟!
ولكننى سمعت ما قاله .. سمعته فى وضوح .
انعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يسألها :

- سمعته أم شعرت به .

ارتبكت ، وهى تغمغم :

- ماذا تعنى ؟!

قال فى اهتمام :

- أعنى هل سمعت أذناك ما قاله ، أم أنه تردَّد فى أعماقك فحسب ؟!

تضاعفت حيرتها ، وتقلَّبت عيناها فيما حولها فى ارتباك ، وكأنها تعجز عن الجواب ، فربَّت على كتفها مغمغمًا فى تعاطف :

- فهمت :

- سألتهْ (سلوى) فى عصبية :

- ما الذى فهمته بالضبط ؟!

التفت إليها ، قائلاً :

- لو أنها سمعت ما قاله بأذنيها ، لما شعرت بهذه الحيرة ، ولانساق الجواب إلى شفتيها بلا تردُّد ، أما وقد عادت تطرح السؤال على نفسها ، بشىء من عدم الثقة ، فهذا يعنى أنها لم تسمع السؤال بأذنيها ، وإنما بعقلها .

هتفت (سلوى) :

- هل تعنى أن ذلك الجـ ... ذلك الشىء قد تخاطب مع ابنتى عقليًا ؟!

انفرجت شفتا الدكتور (حجازى) لينطق شيئًا ما ، لولا أن قالت (نشوى) بغتة :

- إنهم داخلى .

اتسعت عينا (سلوى) فى ارتياع ، وخفق قلبها فى عنف ، فى حين سأل الدكتور (حجازى) (نشوى) فى توتر بالغ :

- ماذا تعنين يابنتى ؟!

أجابته فى هدوء عجيب :

- لقد اخترق أحدهم جسدى .. إننى أشعر به .

وشرد بصرها ، وهى تضيف بصوت خافت :

- إننى أملهم الوحيد .

أمسك الدكتور (حجازى) كتفيها ، متسائلاً :

- أملهم الوحيد فى ماذا يا (نشوى) ؟!

تطلَّعت إلى عينيه مباشرة ، مكرِّرة :

- أنا أملهم الوحيد .

هتف :

- فيم ؟!

أمسكت (سلوى) يده ، قائلة فى توتر :

- رويدك يا دكتور (حجازى) .. ألم تر نظراتها الشاردة الزائغة هذه ؟! إنها ليست فى وعيها .

أدارت (نشوى) عينيها إليها ، قائلة :

- أنا واعية تمامًا يا أمى .. صدقينى .

ثم نهضت من فراشها ، والتقطت خزانة الأسطوانات الإليكترونية ، مستطردة بنفس الهدوء العجيب :

- لقد سمعونى أتحدَّث إليك و (رمزى) ، داخل فيلا الدكتور (وائل) .. ساعتها قلت : إن باستطاعتى فتح هذه الخزانة ، وإن بيدى حل اللغز كله .. إنهم يعلمون أننى محترفة فى هذا المجال ، وأننى مستعدة لمساعدتهم .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

- السؤال هو : مساعدتهم على ماذا ؟ على احتلال الأرض مثلاً ؟!

أطلَّت من عينيها نظرة حائرة ، تشفّ عن عدم استطاعتها إجابة تساؤله ، فتمتم فى توتر شديد :

- هذا ما أخشاه .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اقتحم أحد جنود القوات الخاصة الحجرة فى عنف ، وصاح بثلاثتهم فى صرامة :

- اخرجوا .

سأله الدكتور (حجازى) فى توتر :

- ماذا حدث ؟!

صاح به فى غلظة ، وهو يلوِّح فى وجهه بمدفعه الليزرى :

- قلت : اخرجوا .. غادروا الحجرة على الفور .

ضمَّت (نشوى) الخزانة الإليكترونية إليها فى قوة وخوف ، واحتضنتها أمها فى توتر ، فى حين دفع الجندى الدكتور (حجازى) أمامه ، قائلاً فى خشونة :

- تحركوا .. هيا .

كان يدفعهم أمامه فى غلظة شديدة ، عبر ممرات المستشفى ، فهتفت (سلوى) فى توتر :

- ينبغى أن تعلم أننا فريق خاص ، من المخابرات العلمية ، و ...

قاطعها فى صرامة :

- اصمتى .

ضمّت (نشوى) الخزانة إليها أكثر وأكثر ، والجندى يواصل دفعهم أمامه ، حتى بلغوا مشرحة المستشفى ، فامتقع وجه (نشوى) ، وهى تقول :

- هل ستضعوننا هنا ؟!

أجابها فى حدة قاسية :

- ادخلوا .

تصدّى له الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى صرامة :

- اسمع يا هذا .. لست أدرى أية أوامر تطيع بالفعل ، ولكننا هنا بتكليف من أعلى سلطة أمنية فى البلاد ، و ...

قاطعه الجندى بغتة بحركة عنيفة للغاية ..

لقد هوى على رأسه بكعب مدفعه الليزرى ، وهو يدفعه داخل المشرحة فى قسوة وعنف ، فصرخت (سلوى) :

- ماذا تفعل أيها الـ ...

قاطعها بصرخة صارمة :

- ادخلى يا امرأة ، وإلا نسفت رأسك بلا رحمة .

دفعها أيضًا داخل المشرحة ، فاتسعت عيناها فى ارتياع ، وهى تحدّق فى جثة ضابط الشرطة القتيل ،

المسجاة على مائدة فحص فى منتصف المكان ، ولحقت بها (نشوى) ، التى أطلقت شهقة هلع ، امتزجت بدوى الباب المعدنى للمشرحة ، الذى صفقه الجندى خلفهم فى عنف ، وأغلق مزلاجه الخارجى فى قوة ، فأحاط الدكتور (حجازى) كتفيها بذراعه ، وأدارها فى رفق ، قائلاً :

- لا تنظرى يا بنيتى .

كانت دموعها تسيل على خديها فى صمت ، فى حين هتفت (سلوى) :

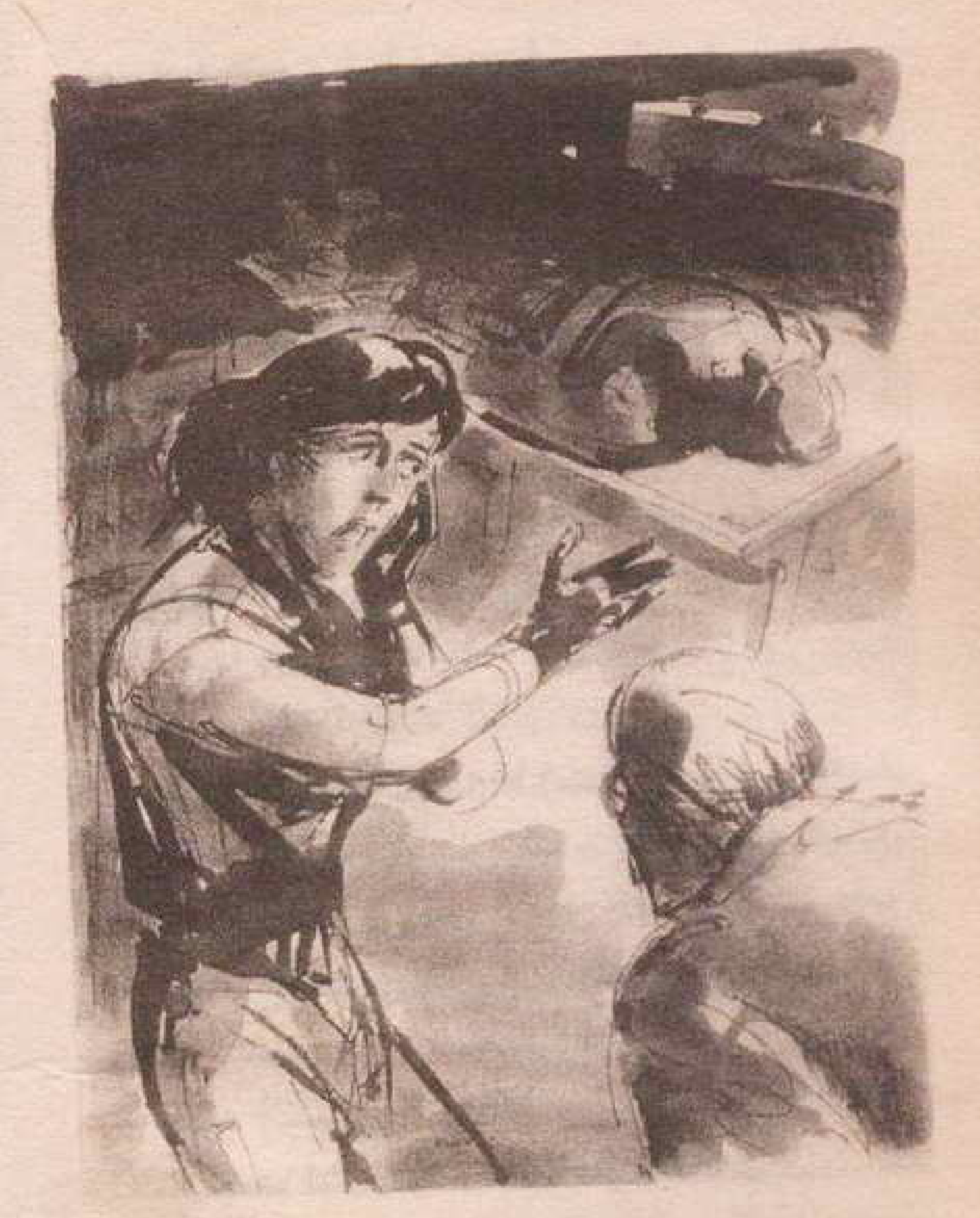
- لماذا يفعلون هذا بنا ؟

أجابها فى توتر :

- هناك شىء ما نجهله يا (سلوى) .. شىء أصاب القيادة بحالة من الذعر الشديد ، أو التوتر البالغ ، على نحو دفعهم إلى قلب الأمور كلها رأسًا على عقب ، إلى حد نزع أسلحة الفريق ، وإعفائه من المهمة ، وطلب إعادتكم إلى (القاهرة) فورًا .

سألته (نشوى) مرتجفة :

- ولكنهم لم يعيدونا نحن إلى (القاهرة) .. لقد سجنونا فى هذا المكان البشع .



ولحقت بها (نشوى) ، التى أطلقت شهقة هلع ، امتزجت بدوى الباب المعدنى للمشرحة ..

ابتسم ابتسامة عصبية ، وهو يقول :

ـ هذا المكان البشع يعدُّ مقرَّ عملى .

قالت فى حدة :

ـ ربما اعتدت أنت التعامل مع الموتى ، ولكننا لسنا كذلك .

اختلس الدكتور (حجازى) نظرة إلى جثة الضابط الشهيد ، قبل أن يقول :

ـ لست أعتقد أننى قد اعتدت التعامل مع الموتى ، فى مثل هذه الظروف .

سألته (سلوى) فى عصبية :

ـ أية ظروف ؟!

مع آخر حروف كلماتها ، ارتجَّ المكان كله بدوى قوى ، فهتفت مذعورة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

أجابها الدكتور (حجازى) فى توتر :

ـ إنه انفجار .. هناك قتال ما يدور هنا .

هتفت بدهشة مذعورة :

ـ فى المستشفى .

أجاب وهو يلصق أذنه بالباب المعدنى ، محاولاً معرفة ما يحدث فى الخارج :

ـ أعتقد أنه ، منذ غروب الشمس ، لم يعد مستشفى بمعنى الكلمة ، حتى إنه ليدهشنى أنه ما زال به بعض المرضى ، بعد كل ما حدث .

غمغمت (نشوى) فى عصبية :

ـ ربما كان حظر التجوال هو ما يبقيهم هنا .

أشار إليها بالصمت ، قبل أن يقول :

ـ هناك قتال عنيف بالفعل .

سألته (سلوى) :

ـ بين أى طرفين ؟!

هزَّ رأسه ، قائلاً :

ـ الشىء الوحيد ، الذى يمكننا أن نجزم به ، هو أن رجال القوات الخاصة أحد طرفى القتال .

سألت (نشوى) :

ـ وماذا عن الطرف الآخر ؟!

هزَّ رأسه ، مجيبًا :

ـ لا يمكننى الجزم .. لا أحد يمكنه الجزم ، أو الـ ...

قاطعته (سلوى) بصوت مرتجف :

ـ (نور) .

التفت إليها فى دهشة ، قائلاً :

ـ (نور) ؟! ما الذى جعلك تتصوَّرين هذا ؟!

لم يكن لديها جواب لما قالته ، ولكنها أشارت بيدها ، قائلة فى ثقة :

ـ إنه هو .. لقد عاد لإنقاذنا .

حدَّق فى وجهها بضع لحظات ، قبل أن يسأل فى خفوت :

ـ شعور داخلى آخر .

ترقرقت عيناها بالدمع ، وهى تقول :

ـ لا بد أن يكون هو .

وتفجَّرت عيناها بالدموع ، التى سالت على وجهها فى غزارة ، فالتفتت إليها ابنتها (نشوى) ، هاتفة :

ـ نعم يا أمى ، لا بد أن يكون أبى ، الذى عاد لـ ...

بترت عبارتها بغتةً ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، فى رعب هائل ، وهى ترتدّ إلى الخلف بحركة عنيفة ، جعلتها ترتطم بالباب المعدنى فى عنف ، فاعتدل الدكتور (حجازى) ، هاتفًا :

ـ ماذا دهاك ؟!

ولكنه لم يكد يلمح نظرة الرعب الهائلة فى عينيها ،

حتى استدار مع (سلوى) ، فى حركة سريعة ، إلى حيث تنظر ..

وانتفض جسد الدكتور (حجازى) فى عنف ، فى حين أطلقت (سلوى) صرخة رعب ، تردَّد دويها فى المكان كله ..

فأمامهم ، وعلى بعد أمتار قليلة منهم ، كان الضابط يقف ، بجسده الذى اخترقته رصاصات الجندى ، وسترته الغارقة بدمائه ، وهو يتطلَّع إليهما ، بعينين اشتعلتا بالنيران ..

عينان بدتا كقطعتين من اللهب ..

أو من الجحيم .

★ ★ ★



٢ - العـــودة ..

تنحنح المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ، معلنًا عن وجوده ، وهو يدلف إلى حجرة العرض السينمائى الخاصة ، فى القصر الجمهورى ، فالتفت إليه الرئيس ، وقال فى اهتمام :

- تعال يا (أمجد) .

تقدَّم المستشار الأمنى ، حتى اتخذ المقعد المجاور للرئيس ، الذى قال ، مشيرًا إلى شاشة العرض :

- انظر يا (أمجد) .. هذه صور الأقمار الصناعية الأخيرة ، لمنطقة (السادس من أكتوبر) .. صور شبه خالية ، بسبب القبة الكهرومغنطيسية ، المحيطة بالمدينة كلها .

غمغم المستشار الأمنى فى توتر :

- قبة كهرومغنطيسية ؟! ولكن استخدامها محصور فى حالات الطوارئ القصوى فقط ، ومن الضرورى أن يتم إبلاغنا أولًا .

أجابه الرئيس :

- بالضبط .. والجميع يعلمون هذا .. وزير الدفاع ، ومدير المخابرات العامة والحربية ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية .. الجميع .. وعلى الرغم من هذا ، فقد تم استخدام تلك القبة ؛ لحصار مدينة (السادس من أكتوبر) ، دون أى إشعار مسبق .

قال المستشار الأمنى فى حذر :

- ربما كانت هناك مبررات أمنية لهذا .

دفع إليه الرئيس ذلك التقرير المشترك ، الذى ورد عبر شبكة الاتصالات السرية ، قائلاً فى حنق :

- مبرِّرات سخيفة ، لا تكفى لإقناع طفل متخلِّف عقليًا .. انظر إلى التقرير المشترك لوزارة الدفاع والمخابرات العلمية .. إنه يتحدَّث عن تمرّد أمنى فى المنطقة ، ارتبط بظاهرة فوق طبيعية ، مما حتّم عزل المكان بكل الوسائل الممكنة .. هكذا بلا أية تفاصيل أو معلومات ، وكأنما لا ينبغى أن نعلم شيئًا عما يفعلونه .

التقى حاجبا المستشار الأمنى ، وهو يقول :

- عجبًا ! هذا الأمر لا يوحى بالارتياح .

التفت إليه الرئيس ، قائلاً فى عصبية :

- هل تظنها محاولة انقلاب عسكرى ؟!

هزَّ المستشار الأمنى رأسه نفيًا ، وقال :

- لو أنها كذلك لتركَّزت محاولة الحصار على (القاهرة) ، وليس على مدينة (السادس من أكتوبر) ، فلا توجد أيَّة تجمعات عسكرية أو أمنية هناك ، كما أن موقعها لا يجعل منها ركيزة مثالية لانقلاب عسكرى ، بالإضافة إلى أن الأحوال السياسية متستقرة تمامًا ، مما ينفى التفكير فى مثل هذه الأمور .

سأله الرئيس :

- ما الذى يحدث هناك فى رأيك إذن ؟!

أجابه فى سرعة :

- أمر تتصوَّر القيادة العسكرية أنه لا ينبغى أن نعرفه .

قال الرئيس فى حدة :

- وما الشىء الذى لا ينبغى أن يعرفه رئيس الجمهورية .

صمت المستشار الأمنى بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى حزم :

- أمر تم بدون أمر مباشر منه .
سأله الرئيس ، وقد تضاعف توتره :
- مثل ماذا ؟!
هزَّ الرجل رأسه نفيًا ، فى بطء حذر ، قبل أن يجيب :
- لا أحد يمكنه الجزم الآن .. لا بد من السعى للحصول على بعض المعلومات أوَّلاً .
أشار الرئيس بسبَّابته ، قائلاً :
- بالضبط .. وهذا ما استدعيتك بشأنه .
ثم مال نحوه ، مستطردًا :
- طبقًا لما يحدث الآن ، لم يعد باستطاعتى الوثوق بأحد سواك ، لذا فسأسند إليك مهمة كشف ما يحدث .. سأمنحك كل الصلاحيات اللازمة ، وكل السلطات المطلوبة .. ستحمل تصريحًا بدخول أى مكان تشاء ، حتى مخزن الأسلحة النووية السرى .. المهم أن تتوصَّل إلى ما يحدث ، وتتخذ كل الإجراءات اللازمة ، لإعادة الأمور إلى نصابها .
صمت المستشار الأمنى لحظة ، قبل أن يقول :
- هذا قد يستلزم بعض الإجراءات الصارمة أو العنيفة .

لوَّح الرئيس بيده ، قائلاً :
- كل ما يستلزمه الأمر ..
ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف فى حزم :
- المهم أن يعود كل شىء إلى طبيعته ، قبل أن تصعد شمس الغد إلى كبد السماء .. هل تفهم يا (أمجد) ؟
تألَّقت عينا (أمجد) ببريق حازم حاسم ، وهو يقول :
- أفهم يا سيادة الرئيس .. أفهم .
قالها ، وغادر المكان على الفور ، ليبدأ فصلاً جديدًا فى تلك الليلة ..
ليلة الظلال ..
الرهيبة ..

* * *

انتشر جنود الصاعقة فى كل مكان ، حول مستشفى (السادس من أكتوبر) ، طبقًا للخطة التى أبلغهم بها قائدهم العقيد (باسل) ، وتركَّزت عيونهم كلها على الطريق ، الذى يقود إلى المكان مباشرة ، ومال أحدهم على أذن زميله ، هامسًا :

ـ لم تظهر السيارة بعد .
أجابه زميله فى حزم :
ـ ستظهر .. القائد أبلغنا أنه لا يوجد طريق آخر للمستشفى ، وأن السيارة تحمل ثلاثة رجال ، وسيجدون بها خمسة مدافع ليزرية ، وثلاث قنابل يدوية ، مما يعنى ضرورة الاشتباك معهم على الفور .
هزّ الأوّل رأسه ، قائلاً :
ـ لو أنهم محترفون حقًا ، لما اتجهوا إلى هنا مباشرة .
ابتسم زميله ، وهو يقول :
ـ بالضبط .. هذا ما ينبغى أن يفعله المحترفون ، وهم يعلمون هذا ، ويعلمون أن قائدنا يدرك براعتهم وذكاءهم ، ويعلم أنهم سيخالفون القواعد المعمول بها ، ونظرًا لهذا ، فسيتجهون إلى هنا مباشرة ، لأن المحترفين لا يفعلون هذا .
ارتبك الأوّل بضع لحظات ، وهو يحاول استيعاب هذا المنطق المركب ، قبل أن يقول فى حيرة :
ـ هل تعنى أنهم سيتجهون إلى هنا مباشرة ، لأنهم محترفون ، على الرغم من أنه لا ينبغى أن يتجه المحترفون إلى هنا مباشرة ؟!

ابتسم زميله ، ولوّح بسبّابته ، قائلاً :
ـ بالضبط .
انعقد حاجبا الأوّل بضع لحظات أخرى ، فى محاولة لهضم واستيعاب ذلك المنطق مرة أخرى ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى قوة ، هاتفًا :
ـ مستحيل ! أى محترف حقيقى يعلم أن الانقضاض على الهدف مباشرة أمر بالغ الخطورة ، لأنه سيواجه رأس الحربة كما يقولون ، وهذا يعنى الحد الأقصى من الخسائر والإصابات .
تحفّز جسد زميله دفعة واحدة ، وهو يقول :
ـ إنهم ليسوا محترفين إذن .
سأله فى حيرة :
ـ ماذا تعنى ؟!
رفع زميله فوهة مدفعه الليزرى ، هاتفًا :
ـ لقد وصلوا .
استدار الأوّل فى سرعة إلى الطريق ، وشاهد مصباحى الجيب ، التى تنطلق بأقصى سرعتها ، نحو المستشفى مباشرة ، فى حين هتف زميله برفاقه :
ـ الآن ..

ومع آخر حروف الكلمة ، انهالت خيوط الليزر على الجيب ..

وعلى الرغم من إصاباتها العديدة ، وانفجار أحد إطاراتها ، واصلت (الجيب) اندفاعها بسرعة كبيرة ، وهى تميل باتجاه إطارها التالف ، قبل أن تنقلب فى عنف ، وتنزلق على جانبها على نحو مخيف ، حتى ارتطمت بجدار المستشفى ، و ...

ودوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، اهتزَّ له المكان كله ، قبل أن تشتعل النيران فى (الجيب) ، ويهتف قائد رجال الصاعقة :

- كفى يا رجال .. كفى .

أوقف الجنود إطلاق خيوط الليزر ، واقتربوا من (الجيب) المشتعلة فى حذر ، والتقط قائدهم جهاز الاتصال الخاص للموجات الصوتية المحمولة على الليزر ، وهو يقول :

- من ألف ومائة إلى ألف وواحد .. تم التعامل مع العدو ، ونسفه نسفًا .

أتاه صوت (باسل) ، وهو يقول فى دهشة :

- بهذه البساطة ؟!

أجابه الجندى متوترًا :

- (الجيب) اتجهت نحو المستشفى مباشرة ، وأطلقنا عليها مدافع الليزر ، و ...

قبل أن يتمَّ عبارته ، اتسعت عيناه فجأة ، وهو يهتف :

- ربَّاه !

لم يكن هتافه قد اكتمل بعد ، عندما انطلق خيط من أشعة الليزر يطيح بجهاز الاتصال من يده ، فى نفس اللحظة التى برز فيها (نور) و(أكرم) و(رمزى) ، من بين الأشجار المحيطة بالمستشفى ، وهم يطلقون مدافعهم الليزرية على الجنود ..

ومع الهجوم المباغت ، أطاحت خيوط الليزر بمدافع خمسة جنود ، وبجهاز الاتصال الخاص بقائدهم ، ووثب (أكرم) يحتمى بعمود رخامى كبير ، وهو يهتف :

- اللعنة يا (نور) ! لماذا تصرَّ على عدم قتلهم ؟! هذا يجعل الأمر أكثر صعوبة .

أجابه (نور) فى صرامة ، وهو يطلق مدفعه الليزرى ، ليطيح بمدفع جندى خامس :

- إنهم ليسوا أعداء يا (أكرم) .. إنهم جنود الوطن .

هتف (أكرم) محنقًا ، وهو يطلق مدفعه بدوره :

- حقًا ؟! ليتك تحاول إقناعهم أيضًا بهذا المنطق الرومانسى .

كان رجال القوات الخاصة ، فى تلك اللحظة ، قد استعادوا تنظيمهم ، وراح فريق منهم يطلق خيوط الليزر نحو (نور) ورفيقيه ، فى محاولة لحماية زملائهم ، الذين فقدوا مدافعهم ، والجميع يتراجعون نحو المستشفى ، على نحو منظَّم دقيق ، فى حين تحرَّك جناحان من الجانبين ، لحصار (نور) و(أكرم) و(رمزى) ، دون تبادل حرف واحد ، مما يشفَّ عن حسن تدريبهم وتنظيمهم ، مما جعل (أكرم) يهتف :

- ربَّاه ! إنهم يقاتلون كالأسود يا (نور) .

أجابه (نور) ، وهو يحتمى بساتر من المسلَّح السميك :

- لا شكَّ فى هذا .. إنهم جنودنا يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

- اللعنة ! لماذا نقاتلهم إذن ؟!

زفر (نور) ، متمتمًا :

- لست أدرى يا رجل .. صدقنى .. لست أدرى .

ثم تراجع مكملاً فى حزم :

- حاولا حماية ظهرى .

سأله (رمزى) :

- إلى أين تذهب ؟!

أجابه ، وهو يطلق أشعة مدفعه فى غزارة :

- سأحاول التسلل من الخلف ؛ للوصول إلى (سلوى) و (نشوى) .

هتف به (رمزى) :

- أسرع يا (نور) .. وفقك الله (سبحانه وتعالى) .

اندفع (نور) يعدو ، بمحاذاة جدار المستشفى ، واحتمى بساتر من الأشجار الكثيفة ، وهو يحمل مدفعه الآلى ، وذلك السؤال يتردَّد فى أعماقه فى مرارة :

- لماذا ؟!

لماذا يضطر لمقاتلة جنود وطنه ؟!

أفضل جنوده !

أية أمور تلك ، التى دفعت الأحداث إلى هذه النقطة ؟!

كيف يأتى اليوم ، الذى يضطر فيه إلى مواجهة جنود ، يفترض فيهم حمايته ، والدفاع عن أمنه وسلامته ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

بلغ سلم الطوارئ الخلفى للمستشفى ، فوثب يتعلَّق به فى خفة ، وهم بتسلقه ، عندما برز بغتة أحد جنود القوات الخاصة ، من وسط الأشجار ، وقفز نحوه كالليث ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وهو يحمل خنجرًا ماضيًا ..

وبحركة سريعة رشيقة ، ودون أن ينبس أيضًا ببنت شفة ، تفادى (نور) تلك الانقضاضة ، وانزلق فى خفة ، ليمسك معصم الجندى بيسراه ، ثم يهوى على فكه بلكمة كالقنبلة بيمناه ..

وعلى الرغم من قوة اللكمة وعنفها ، لم يتراجع جندى الصاعقة سنتيمترًا واحدًا ، وإنما انتزع معصمه من بين أصابع (نور) ، ودار حول نفسه دورة مرنة للغاية ، قبل أن يهوى بالنصل الحاد الطويل على قلب هذا الأخير مباشرة ..

ومال (نور) جانبًا ، متفاديًا الطعنة القاتلة ، وشعر بالنصل يمزِّق جزءًا من عضلة كتفه الأيسر ، وبالدماء الساخنة تنساب على ذراعه ، وهو يثب جانبًا ، ويقفز إلى أعلى ، ثم يدور حول نفسه دورة أفقية كاملة ، ويهوى على فك الجندى بركلة كالقنبلة ، أطاحت به بعيدًا ..

ولكنها لم تفقده الوعى ..

لقد سقط أرضًا ، ثم قفز واقفًا على قدميه فى خفة ، وأطلق زمجرة خافتة ، وهو ينقضَ مرة أخرى على (نور) ، منتزعًا مسدسه الليزرى من حزامه ..

وفى هذه المرة لم يتحرَّك (نور) من مكانه ..

لقد أدرك ، على الرغم من مرارته ، أن الظروف تحتم المواجهة المباشرة ..

بمنتهى العنف ..

وبلا رحمة ..

لذا فقد رفع مدفعه الليزرى بدوره ..

وأطلق الجندى أشعة مسدسه الليزرى ..

وفى اللحظة نفسها ، أطلق (نور) أشعة مدفعه .

وانفجر المسدس الليزرى فى يد الجندى ، الذى

أطلق صرخة مكتومة ، وجسده كله يندفع إلى الخلف فى عنف ..

وعندما سيطر على توازنه ، كان (نور) أمامه مباشرة ..

وقبل حتى أن يستوعب الجندى الأمر ، كان كعب مدفع (نور) الليزرى يهوى على فكه ، كألف ألف صاعقة ، حتى إن جسده كله طار إلى الخلف فى عنف ، ثم هوى أرضًا فى قوة ..

وفى سرعة ، انحنى (نور) يفحص الرجل ، قبل أن يعود إلى سلم الطوارئ فى سرعة ، متمتمًا :

- حمدًا لله .. إنه حى .

تعلق بالسلم ، وتسلقه فى سرعة ، حتى بلغ الطابق الثانى من المستشفى ، فوثب إلى الممر ، عبر نافذة مفتوحة ، واندفع نحو حجرة (نشوى) و (سلوى) ..

وقبل أن يبلغ الحجرة ، هتفت به إحدى الممرضات ، وهى تختبئ خلف المكتب الرخامى لمراقبة القسم :

- احترس .. إنه كمين .

ومع آخر حروف كلماتها ، اندفع اثنان من جنود الصاعقة إلى الممر ..

وانطلقت خيوط الليزر مرة أخرى ..

وبكل قوته وخفته ، وثب (نور) إلى ما خلف المكتب الرخامى ، وهو يهتف بالممرضة :

- أين زوجتى وابنتى ؟!

أجابته ، وكل ذرة فى كيانها ترتجف رعبًا :

- لست أدرى .. لقد نقلوهما إلى مكان آخر .. لست أدرى أين ..

سألها فى حدة :

- خارج المستشفى أم داخله .

أجابته مذعورة :

- لم يغادر المستشفى أحد قط .

اخترق جوابها أذنيه ممتزجًا بوقع أقدام رجلى الصاعقة ، اللذين يندفعان نحو المكتب الرخامى ، بمدفعيهما الليزريين .

وقبضت أصابع (نور) على مدفعه فى قوة ، وكل ذرة فى كيانه تنتفض انفعالاً ..

لم يعد هناك مفر من المواجهة ، التى يبغضها كل البغض ..

لقد أصبحت مسألة حياة أو موت ..

حياته وموتهما ، أو موته وحياتهما ..

وبكل الغضب والمرارة فى أعماقه ، راح يلعن المسئول عن هذا الموقف ..

ثم حسم الأمر ..

كان وقع الأقدام يقترب فى سرعة عبر الممر ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وانعقد حاجبا (نور) ، ثم هبَّ واقفًا ، وهو يشهر مدفعه الليزرى ..

وبسرعة المحترفين ، شهر الجنديان مدفعيهما أيضًا ..

وانطلقت خيوط الليزر فى ممر المستشفى ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

من المؤكَّد أن جنود القوات الخاصة ، فى الجيش المصرى ، ينتمون إلى فئة خاصة للغاية ، ويتلقون تدريبات مكثفة ، تفوق ما يتلقاه أقرانهم بمرات ومرات ..

لذا ، فعلى الرغم من أن (نور) ورفيقيه قد فازا

بعامل المفاجأة ، إلا أن جنود الصاعقة أمكنهم استيعاب الموقف بسرعة مدهشة ، بحيث استعادوا سيطرتهم على الأمر كله ، فى وقت قياسى للغاية ، وأمكنهم محاصرة (أكرم) و (رمزى) ، فى أحد أركان الحديقة ، فهتف الأوَّل فى توتر بالغ ، وهو يواصل إطلاق أشعة مدفعه :

ـ اللعنة ! الأمور لا تسير لصالحنا أبدًا يا (رمزى) .. صحيح أنهم جنودنا ، كما يقول (نور) ، ولكنهم يسعون لقتلنا ، ومن العار ألا ندافع عن أنفسنا .

تمتم (رمزى) فى عصبية :

ـ لست أدرى كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد !!

انتزع (أكرم) قنبلة يدوية من حزامه ، وهو يقول فى حدة :

ـ دعنا نؤجِّل هذا السؤال لما بعد .

ثم ألقى قنبلته اليدوية وسط الجنود ، مستطردًا :

ـ هذا لو بقينا على قيد الحياة ، لنجيب عنه .

التقطت أعين رجال الصاعقة تلك القنبلة ، فتراجعوا بسرعة المحترفين ، وقائدهم يهتف فى حزم :

ـ انبطحوا .

وثب جميعهم أرضًا فى آن واحد ، كما لو أن رابطًا خفيًا يربطهم ببعضهم ، فى نفس اللحظة التى دوى فيها الانفجار .

ومع موجة التضاغط الناشئة ، اندفع جسدا (أكرم) و(رمزى) إلى الخلف فى عنف ، وسقطا أرضًا ، والأخير يهتف :

- ربَاه ! ما الذى فعلته بنا يا (أكرم) ؟!

حاول (أكرم) النهوض فى سرعة ، وهو يهتف بدوره :

- لم يكن هناك مفر يا صديقى .

كان يحاول استعادة مدفعه الليزرى ، عندما لمح جنود الصاعقة ينهضون فى خفة ، ثم يندفعون نحوه بمدافعهم ، على نحو جعل قلبه يخفق فى عنف ، وهو يهتف :

- اللعنة !

كان يتحرك بأقصى سرعته ، إلا أن جنود الصاعقة كانوا ، بحكم خبرتهم وتدريباتهم ، أكثر خفة وسرعة منه ، حتى إنهم شهروا مدافعهم فى وجهه ، قبل أن تستعيد يده مدفعه الآلى بالفعل ، فرفع (رمزى) ذراعه يحمى وجهه ، صائحًا :

- انتهى الأمر .

وانتفض جسده فى عنف ، عندما انطلقت خيوط الليزر فى المكان ..

وتفجَرت الدماء من الأجساد ..

بمنتهى البشاعة ..

★ ★ ★

حدَقت (مشيرة) مع الأستاذ (حسن) وزوجته ، عبر نافذة حجرة المعيشة ، فى جنود الصاعقة ، الذين ينتشرون فى شوارع المدينة ، وقد أحاطت بهم هالة عجيبة ، من ضوء أخضر باهت ، وغمغم الأستاذ (حسن) ذاهلاً :

- ماذا أصابهم ؟! لماذا يتألَقون على هذا النحو ؟!

هزَت رأسها فى حيرة ، مغمغمة :

- لست أدرى .. إنهم جميعًا يرون هذا ، ولا أحد يبدى أدنى اهتمام به ، وكأنما من الطبيعى أن تحيط بهم هذه الهالة .

تمتمت زوجة الأستاذ (حسن) ، فى توتر بالغ :

- ولكن ماهيتها ؟! أهى ..

قاطعها الصبى فى حزم :

- درع كهرومغنطيسى .

التفت إليه ثلاثتهم فى دهشة بالغة ، فتابع فى رصانة :

- لقد شاهدت هذا فى برنامج (نحو الغد) .. إنها دروع مغنطيسية خاصة ، تحمى صاحبها من الإصابة بأشعة الليزر ، أو موجات (جاما) ، أو حتى أسلحة الموجات الصوتية المتقدمة .. إنها باهظة الثمن ، عالية التكاليف ، ولكن من الطبيعى أن يستخدمها رجال القوات الخاصة .

حدّقوا فى وجهه بدهشة ، قبل أن يقول الأستاذ (حسن) فى عصبية :

- يبدو أنك تشاهد (التلفاز) كثيرًا أيها الصبى .

أجابه (هيثم) فى رصانة :

- وأقرأ كثيرًا أيضًا يا أستاذ (حسن) .

قال الأستاذ (حسن) فى عصبية :

- ماذا تقصد أيها الصبى .. أنا أيضًا أقرأ كثيرًا ..

ابتسم الصبى فى خبث ، هو يتمتم :

- ربما ليس كما ينبغى .

احتقن وجه الأستاذ (حسن) ، وهمّ بقول شىء ما ، لولا أن قالت (مشيرة) فى سرعة :

- ولماذا يرتدون هذه الدروع يا (هيثم) ؟!

هزّ الصبى رأسه ، وهو يجيب :

- إنهم لا يرتدونها ، بل تحيط بهم .

هتف الأستاذ (حسن) :

- فليكن أيها المتحذلق .. لماذا تحيط بهم ؟!

هزّ (هيثم) كتفيه هذه المرة ، وهو يجيب :

- لست أدرى .. ربما لحمايتهم من تلك المخلوقات .

انعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، وهى تقول :

- بالضبط .. هذا هو السبب حتمًا .

قال الأستاذ (حسن) فى حنق :

- إنه مجرّد تخمين من الصبى .

أجابته فى حزم :

- ولكنه يستند إلى المنطق الحالى .

واستغرقت فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن تقول :

- (هيثم) .. هل يمكنك أن تحضر الفيلم الآن ؟!

هتف مستنكرًا :

- قبل أن تدفعوا ثمنه ؟!

قالت فى حزم :

- ستحصل على الثمن يا (هيثم) .. لقد أعطيتك كلمتى .

سألها فى حذر :

- وهل تساوى كلمتك سبعمائة وخمسين ألف جنيه ؟!

هتفت :

- بل تساوى ملايين الدنيا كلها أيها الوقح .

انعقد حاجباه ، ومط شفتيه ، فى تفكير عميق مستهجن ، فهتف الأستاذ (حسن) :

- يا له من صبى !

أما (مشيرة) ، فقد مالت نحو (هيثم) ، ووضعت يدها على كتفه ، قائلة :

- اسمع يا (هيثم) .. الموقف خطير للغاية ، والمفترض أن نعلو بكل رغباتنا وأفكارنا إلى مستوى الحدث ، وإلا خسرنا جميعًا .. هل تفهم هذا ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الصبى بضع لحظات ، قبل أن يقول فى حزم :

- سأحضر الفيلم .

قالها ، ودار على عقبيه ، واندفع نحو المطبخ ، ووثب عبر نافذته فى خفة ، فهتفت خلفه زوجة الأستاذ (حسن) :

- احترس .. لا تجعلهم يرونك .

أما الأستاذ (حسن) نفسه ، فقد هتف :

- يا له من صبى !

التفتت إليه (مشيرة) ، مغمغمة :

- حاول أن تحتمله قليلاً .

هتف بها :

- أحتمله ؟!

ثم ترقرقت عيناه بالدموع ، وهو يضم زوجته إليه ، مستطردًا :

- إننى أتمنى ابنًا مثله .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، عندما طبعت زوجته قبلة على خده ، متمتمة :

- هذا هو (حسن) ، الذى أحببته وتزوجته .

مط شفتيه ، وأشاح بوجهه فى توتر ، فضحكت ، قبل أن تلتفت إلى (مشيرة) ، قائلة بابتسامة كبيرة :

- لا تجعليه يخدعك .. إنه يبدو فظًا خشنًا ، ولكنك لو قضيت معه نصف الوقت ، الذى قضيته أنا معه ، لأدركت أنه يخفى خلف كل هذا جبلاً من الحنان والطيبة ، والشفقة ، والحب ..

ابتسمت (مشيرة) ، قائلة :

- والشجاعة أيضًا .. إنه أوّل من هرع لإنقاذ الدكتور (وائل) ، على الرغم من وجود ذلك القوس .

غمغم الأستاذ (حسن) :

- كنت أقرب الجميع إليه .

تمتمت زوجته :

- أتعتقد هذا حقًّا ؟!

غمغم بكلمات غير مفهومة ، وهو يشيح بوجهه عنهما ، فالتفتت زوجته إلى (مشيرة) ، متمتمة :

- أرأيت ؟!

وثب (هيثم) عبر النافذة ، فى تلك اللحظة ، وهو يحمل شريط (الفيديو) الصغير ، ولهث من فرط الانفعال ، هاتفًا :

- ها هو ذا .

اختطفته (مشيرة) من يده فى لهفة ، قائلة :

- عظيم .. إنها الخطوة الأولى ؛ لمعرفة ما يحدث حولنا .

أسرعت تضع الشريط فى جهاز (الفيديو) الصغير ، فى منزل الأستاذ (حسن) ، وضغطت زر التشغيل ، ثم تراجعت لتتخذ مجلسها ، على الأريكة المواجهة للتلفاز ، لتتابع المشاهد فى اهتمام وفضول بالغين ..



أسرعت تضع الشريط فى جهاز (الفيديو) الصغير ، فى منزل الأستاذ (حسن) ، وضغطت زر التشغيل ..

كان من الواضح أن الصبى كان يلتقط مشهد الغروب ، عندما دوى الانفجار ، فأدار عدسة آلة (الفيديو) إلى موضعه فى سرعة ، ليلتقط فيلمًا شديد الوضوح ، لذلك القوس الرهيب ، الذى أحاط بفيلا الدكتور (وائل شوقى) ، ولكل ما حدث ، منذ تلك اللحظة ، وحتى وصل الفوج الأوَّل من رجال الشرطة ، بعد أن تلاشى القوس تمامًا ..

وفى انبهار تام ، هتفت (مشيرة) :

- يا إلهى ! الفيلم يستحق بالفعل .

قال الصبى فى زهو :

- ألم أقل لك ؟!

هتفت وجسدها كله يرتجف انفعالاً :

- إنه أمر رهيب .. قل لى يا أستاذ (حسن) : هل جهاز البث عندك مزوَّد بإمكانية التكبير والتقريب .

أجابها فى حدة :

- بالطبع .. كل أجهزة بث الفيديو الحديثة مزوَّدة بتلك الإمكانيات .

نهضت إلى جهاز (الفيديو) ، قائلة :

- عظيم .

وداعبت جزءًا من الجهاز ، مستطردة فى حماس :

- لديك أيضًا إمكانية النسخ المزدوج .

أجابها متبرمًا :

- ستجدين أسطوانات النسخ إلى جوار الجهاز .

ابتسمت زوجته ، وهى تهمس فى أذنه :

- لن يضيرك أن تبدى بعض اللياقة .

مطَّ شفتيه ، دون أن يجيب ، فى حين راح (هيثم) يراقب (مشيرة) فى اهتمام بالغ ، وهى تعيد عرض الفيلم ، ثم تعمل على تقريب وتكبير مشهد تكوَّن قوس اللهب ..

وبلهفة لا مثيل لها ، راحت (مشيرة) تراقب ذلك المشهد الرهيب ، مغمغمة :

- يا إلهى ! إنه أمر رهيب بالفعل .. هل ترون هذا التناقض ؟! إطار من اللهب ، يحيط بعاصفة جليدية عاتية !! أى عالم هذا ؟!

ضغطت زر التكبير والتقريب ، وهى تختار جزءًا من القوس ، و ...

وفجأة ، ارتدَّت فى عنف ، وهى تطلق شهقة مذعورة ، فى حين انتفض جسد زوجة الأستاذ (حسن) فى عنف ، وهتف هذا الأخير :

- يا إله العالمين ! ما هذا ؟!

وارتجف صوت (هيثم) ، وهو يتمتم فى رعب :

- يا ربى .. كيف لم أر هذا ؟!

ففى ذلك الجزء المقرَّب المكبَّر من المشهد ، كانت تبدو فى وضوح تلك الظلال المخيفة ..

الظلال الرهيبة ، التى تتحرَّك نحو الفجوة ..

وفى ارتياع ، هتف الأستاذ (حسن) :

- سبحان الله ، ولا قوة إلا بالله .. أتلك الأشياء هى التى أشار إليها الدكتور (وائل) ، رحمه الله ، عندما قال : « إنهم هنا » ؟! تلك الظلال الرهيبة هى سبب كل ما يحدث حولنا .

حدَّقت زوجته فى ظلها ، فى رعب كامل ، وهى تقول بصوت مرتجف :

- ربَّاه ! إنهم حولنا إذن .. ربما كانوا فى كل مكان .. هناك أو ...

واتسعت عيناها عن آخرهما ، وهى تتلفَّت حولها ، مكملة :

- أو هنا .

أما (مشيرة) ، فقد ظلَّت صامتة ، مبهورة ،

تحدَّق فى المشهد كالمأخوذة ، وجسدها كله ينتفض فى عنف ..

لم تكن تصدَّق ما تراه عيناها ..

لم تكن ترغب فى تصديقه ..

فالأمر بالفعل رهيب ..

رهيب بحق ..

وبكل انفعالها وتوترها ، قفزت من مكانها ، هاتفة :

- لا بد أن يرى (نور) وفريقه هذا .. لا بد أن يعلموا ما حدث بالضبط ..

لم تكد تتمَّ عبارتها ، حتى هوت ضربة عنيفة على باب المنزل ، الذى انفتح فى قوة ، على نحو قفز معه الجميع من أماكنهم ، والتفتوا بحركة حادة إلى الباب ، الذى برز عنده اثنان من رجال القوات الخاصة ، بتلك الهالة الخضراء الباهتة ، التى تحيط بهما ، والمدافع الليزرية القوية فى أيديهما ، والنظرة الصارمة القاسية ، المطلَّة من عيونهما ..

ومن بين الرجلين ، دلف العقيد (باسل) ، ونفس الهالة تحيط به ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويبتسم ابتسامة ساخرة ، متسائلاً :

ـ ما هذا الذى ينبغى أن يراه ويعلمه (نور) وفريقه يا سيدة (مشيرة) ؟!

وهوت قلوب الجميع بين أقدامهم .. كالحجر .

★ ★ ★



٤ ـ دماء باردة ..

لثوان طوال ، توقَّف الزمن تمامًا ، داخل مشرحة مستشفى (السادس من أكتوبر) ، و(سلوى) و(نشوى) والدكتور (حجازى) يحدقون فى العينين المشتعلتين كاللهب ، اللتين تتطلعان إليهم ، من وجه ذلك الضابط القتيل ..

وطوال تلك الثوانى ، لم يتحرَّك الضابط ، أو يبعد عينيه عنهم ..

ولم ينبس أحد منهم ببنت شفة ..

ثم فجأة ، هتفت (سلوى) :

ـ ما الذى يريده منا ؟!

غمغم الدكتور (حجازى) بأنفاس مبهورة :

ـ لست أدرى .. إنه لم ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق فى أحد ثقوب الرصاصات ، فى صدر الضابط ، والذى راحت الدماء تسيل منه ، فسألته (نشوى) بصوت مختنق :

ـ ماذا هناك يا دكتور (حجازى) ؟!

أجابها فى انفعال :

ـ إنه حى .

خُيِّل إليها أنها لم تفهم عبارته جيدًا ، فتبادلت نظرة مذعورة مع أمها ، قبل أن تهتف الأخيرة :

ـ ماذا ؟!

هتف ، وقد تضاعف انفعاله :

ـ هذا الرجل ليس جثة كالآخرين .. إنه حى .. حى .

تبادلتا نظرة أخرى حائرة ، فى حين تابع هو ، متجهًا نحو الضابط :

ـ انظرا إلى الدماء التى تسيل من إصاباته .. إنها تتدفَّق بإيقاع منتظم .. ألا تدريان ما يعنيه هذا ؟! يعنى أن قلبه ما زال ينبض ، ويضخَّ الدم فى عروقه .

ثم اندفع نحو الضابط ، على الرغم من عينيه المخيفتين ، وهو يهتف :

ـ إنك تحتاج إلى إسعاف عاجل يا هذا .. هل تفهم ؟! إنك ..

قبل أن يتمّ عبارته ، تحركَت يد الضابط بحركة سريعة ، لتهوى على صدره بلطمة عنيفة ، بدت له

أشبه بصاعقة أصابته ، واقتلعته من مكانه ، وألقت به مترين كاملين ، ليرتطم بإحدى موائد التشريح ، ويسقطان معًا بدوى مخيف ..

ومع سقوطهما ، صرخت (سلوى) فى رعب ، وفردت ذراعها لتحمى ابنتها ، فى حين اتسعت عينا (نشوى) فى ارتياع ، وهى تتراجع فى بطء ..

أما الضابط ، فلم يتقدَّم نحوهما خطوة واحدة ..

لقد لطم الدكتور (حجازى) ، بتلك القوة الخرافية ، ثم عاد إلى صمته وسكونه دفعة واحدة ، وكأنما انتهى من مهمته ..

لو أن له مهمة محدودة ..

وبكل ألم الدنيا ، سعل الدكتور (حجازى) ، وهو يحاول النهوض من سقطته ، قائلًا :

ـ ربّاه ! ما الذى يمنحهم كل هذه القوة ؟!

قالت (سلوى) فى رعب :

ـ بل قل ما الذى سيفعله بنا ؟! أو ما الذى ...

بترت عبارتها بشهقة مباغتة ، عندما رفع الضابط يده فجأة نحو ابنتها ، وصرخت :

ـ إياك أن تمسّها بسوء .

ودون أن يبالى باعتراضها ، ازداد وهج عينى الضابط ، على نحو كاد معه قلب (سلوى) يتوقَّف عن النبض ، وهو يشير إلى خزانة الأسطوانات المدمجة الإليكترونية ، وانبعث من بين شفتيه صوت رهيب ، بدا وكأنه ينبعث من أعماق القبور ، وهو يتمتم :

- ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء .

اتسعت عينا (نشوى) عن آخرهما ، وهى تقول فى رعب :

- ما هذا بالضبط ؟! أهى الأرقام السرية لخزانة الأسطوانات أم ماذا ؟

كرَّر الضابط ، بصوت أكثر عمقًا ورهبة :

- ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء .

كان صوته ينخفض تدريجيًا ، وهو يكرِّر عبارته ، ولم يكد ينتهى منها ، حتى تلاشى بريق عينيه بغتة ، وزاغ بصره على نحو عجيب ، ثم تهاوى أرضًا دفعة واحدة ، ليرتطم جسده بالأرضية الرخامية فى عنف ..

ثم فجأة ، حدث أمر رهيب مخيف ..

فمن مؤخرة عنق الضابط ، انبعث بغتة لسان رفيع من اللهب ، فى حجم قلم صغير ، ثم تلاشى ذلك اللسان دفعة واحدة ، لينطلق منه ظل أسود رهيب ..

ومرة أخرى ، شهقت (سلوى) ، وانتفضت (نشوى) ، واتسعت عينا الدكتور (حجازى) عن آخرهما ..

هذا لأن ذلك الظل توقَّف بغتة فى منتصف القاعة ، وبدا أشبه بظل بشرى لشخص خفى ، وهو يتطلَّع إلى ثلاثتهم ، وكأنه يستعد لعملية صيد ..

صيد ضحية جديدة ..

★ ★ ★

عندما قفز (نور) من مكانه ، خلف المكتب الرخامى ، كان يدرك جيِّدًا أن الموقف يحتِّم عليه التخلِّى عن الكثير من مبادئه ، خلال ثانية أو ثانيتين ..

إنه يكره القتل والتدمير وإراقة الدماء ، ويبغضها كما لا يبغض شيئًا آخر ، فى الدنيا كلها ..

ولكنه الآن مضطر للقتل ..

والتدمير ..

وإراقة الدماء ..

مضطر لفعل كل هذا ، من أجل حياته ..

وربما لو اقتصر الأمر على حياتـه وحدهـا ، لفضَّل الموت ، على إطلاق أشعة مدفعه القاتلة على جنود ، هم خيرة شباب بلاده ..

ولكنها ليست حياته وحدها للأسف ..

إنها أيضًا حياة زوجته وابنته ..

و (مصر) ..

وربما العالم أجمع ..

لذا ، ولكل هذا ، لم يتردَّد (نور) لحظة واحدة ..

لقد هبَّ يطلق أشعة مدفعه الليزرى نحو الجنديين ، الذين أطلقا أشعتهما بدوريهما ..

ولجزء من الثانية ، بدا المشهد أشبه بحلم ..

أو بكابوس ..

كابوس بشع ..

لقد رأى جنديى الصاعقـة يندفعـان نحـوه ، وأشـعة مدفعه تنطلق نحوهما ، وشعر بخيط من اللهب يخترق ذراعه اليسرى ، وبآخر يضرب صدره ، ورأى الدماء تتفجَّر مـن كتـف أحـد الجنديين ، والثـانى يطـير إلـى الخلف ، ثم يسقط على ظهره أرضًا فى عنف ..

وكالحلم أيضًا ، غادر (نور) مكمنه ، واندفع نحو الرجلين ، وانحنـى يفحـص ذلـك المصـاب فـى كتفـه ، وهو يسأله فى لهفة :

ـ أأنت بخير ؟!

حدَّق الجنـدى فيـه بدهشـة ، فربَّـت علـى كتفـه ، متمتمًا :

ـ المفـترض أننـا ننتمـى إلى فريـق واحـد ؛ فكلنـا نسعى لصالح (مصر) .

بـدت الحـيرة فـى عينـى الجنـدى ، وهـو يشير إلـى صدر (نور) ، قائلاً فى ألم :

ـ لقد .. لقد أصبتك فى صدرك .

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ إنها تلك السترة .. أنسجتها معالجة على نحو خاص ، بحيث لا تخترقها أشعة الليزر أبدًا .. شـىء أشبه بالدروع المضادة للرصاصات .

تراقصـت ابتسـامة مرهقـة علـى شـفتى جنـدى الصاعقة ، وهو يقول فى ألم :

ـ المهم أننى أصبتك .

ربَّت (نور) على كتفه مرة أخرى ، قائلاً :

- لقد أجدت التصويب .

ثم انتقل إلى الآخر ، يفحصه فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن عضَ شفتيه ندمًا ، وهو يتمتم فى ألم ومرارة :

- سامحنى يا رجل .. لم أشأ هذا قط .. لعن اللّه من جعل هذا محتومًا .

لم يكد يتمَ عبارته ، حتى انتبه إلى وقع الأقدام القريب منه ، فاعتدل فى سرعة ، وحاول أن يرفع مدفعه الليزرى ، إلا أن بصره ارتطم بفوهات ثلاث مدافع ليزرية قوية ، مصوبَة إلى رأسه مباشرة ، وخلفها ثلاثة من جنود الصاعقة ، بنظرات صارمة قاسية ، وأصابع متحفزة لضغط الزناد ، منذ أول همسة ..

وكان هذا يعنى أن الأمل فى النجاة قد انخفض .. إلى الصفر ..

★ ★ ★

اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهى تحدِق فى العقيد (باسل) ، الذى بدا مخيفًا للغاية ، بتلك الهالة المحيطة به ، وهو يتقدَم نحوها ، مكررًا بتلك الصرامة الساخرة :

- ما زلت لم أحصل على جواب يا سيدة (مشيرة) .. ما تلك الأشياء ، التى ينبغى أن يراها ويعرفها (نور) وفريقه ؟!

تحرَكت فى خفة ، لتجعل من جسدها حاجزًا ، يحول بينه وبين رؤية المشهد ، على شاشة التلفاز ، وهى تقول :

- من حقى - دستوريًا - أن أخفى مصادر معلوماتى[*] .

اتسعت ابتسامته الساخرة ، وهو يتمتم :

- حقًا .

ثم تحرَك ، على نحو يوحى بأنه سيدور حولها ، لرؤية التلفاز ، فاندفع (هيثم) من مكانه بغتة ، وهو يقول :

- لم تعد بى رغبة لمتابعة هذا الفيلم .

تألَقت عينا الأستاذ (حسن) فى إعجاب ، عندما أغلق الصبى التلفاز ، وجهاز بث الفيديو ، فى هدوء

(*) فى كل الدول المتحضرة (بما فيها مصر) ، يحق للصحفى الحفاظ على سرية مصادر معلوماته ، وعدم كشفها ، تحت أية ظروف .

مدهش ، ثم عاد إلى مكانه فى بساطة ، وبراءة الدنيا كلها تطلّ من عينيه ..

وعلى الرغم منها ، ابتسمت (مشيرة) فى ارتياح ، وهى تقول :

ـ نعم .. حقًا أيها العقيد .

اتسعت ابتسامته الساخرة أكثر وأكثر ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!

ثم تحرّك فى المكان بهدوء عجيب ، دون أن تفارق ابتسامته الساخرة وجهه ، وهو يقول :

ـ هل تعلمين يا سيّدة (مشيرة) .. رجال الجيش ليسوا بالغباء ، الذى يتصوّره البعض .. بل إننى ـ على العكس ـ أعتبرهم عباقرة فى مضمارهم .. انظرى مثلاً ماذا فعلنا ، عندما قرّرنا السيطرة على هذه المدينة .. لقد جمعنا كل المعلومات اللازمة عنها .. كل البيانات ، والصور ، وحتى شهادات المواليد وعقود الزواج .. هل تعلمين بم أفادنا هذا ؟! إننا على الأقل نعلم أن هذا الصبى اللزج ، لا ينتمى إلى عائلة الأستاذ (حسن) .

همّ الأستاذ (حسن) بقول شىء ما ، ولكن (هيثم)

سبقه ، قائلاً بنفس البراءة ، التى زرعها على وجهه :

ـ هذا صحيح ، ولكننى كنت أشاهد بعض الأفلام المجسَّمة هنا ، عندما غلبنى النوم ، وبدأ حظر التجوال ، و ...

قاطعه العقيد (باسل) بصرامة مباغتة :

ـ اصمت .

انعقد حاجبا (هيثم) فى غضب ، إلا أنه أطاع الأمر ، ولاذ بالصمت التام ، فى حين قال العقيد فى حدة غاضبة :

ـ هذا الصبى كاذب .. وكلكم تعلمون هذا .

قالت (مشيرة) فى توتر :

ـ إنه مجرَّد صبى ، وكل الـ ...

التفت إليها بحركة حادة ، ولوَّح بسبَّابته فى وجهها بعنف ، صائحًا :

ـ انتظرى حتى أكمل حديثى لكيلا تتورَّطى أنت أيضًا فى كذبة سخيفة ..

بدا عليها الغضب ، ولكنها لاذت بالصمت بدورها ، فى حين عاد هو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتحرَّك فى غرفة المعيشة ، قائلاً :

- أنا أعلم منذ البداية أنك ستسببين لنا المتاعب ، بسبب فضولك الشديد .. كل الصحفيين والصحفيات لديهم هذا الفضول السخيف ، وكان من الضرورى أن أتخذ سبيلاً لتفادى متاعب هذا الفضول .

بدا عليها القلق ، عندما بلغ هذه النقطة ، وتبادل الأستاذ (حسن) وزوجته نظرة متوترة للغاية ، فى حين انعقد حاجبا (هيثم) ، والعقيد (باسل) يلوّح بكفه ، متابعًا :

- لعلك تتساءلين عما فعلته ، وتتساءلين أيضًا عن سر اقتحامى المنزل ، على هذا النحو .. الواقع أننى لم أكن فى طريقى إلى هنا على الإطلاق .. لقد كان علىّ أن أتجه مباشرة إلى المستشفى ، لتصفية بعض الأمور السخيفة هناك ، لولا أن أبلغنى أحد رجالى ، عبر جهاز اتصال خاص للغاية ، أن جهاز التنصّت الخاص للغاية أيضًا ، والذى زرعناه هنا ، قد أشار إلى أنكم ستشاهدون عرضًا فريدًا الليلة .

ثم ضغط أحد أزرار جهاز (الفيديو) ، والتقط شريط التسجيل الصغير ، ورفعه أمام وجهه ، وهو يضيف فى صرامة ظافرة :

- عرض خاص للغاية كذلك .

انتفض جسد الأستاذ (حسن) وزوجته فى عنف ، وانعقد حاجبا (مشيرة) فى شدة ، فى حين هتف (هيثم) فى غضب ، وهو يهبّ من مقعده :

- إنه شريطى .

لوح العقيد (باسل) بالشريط ، وهو يقول فى سخرية :

- أعلم هذا .

ثم دسّه فى جيبه ، مستطردًا :

- وأعلم أيضًا أنه يساوى سبعمائة وخمسين ألف جنيه .

صاح به الصبى فى حدة ، وهو يمدّ يده ، محاولاً استعادة شريطه :

- لو أردت الحصول عليه ، فلتدفع ثمنه .

هوى العقيد (باسل) على وجهه بصفعة قاسية ، وهو يقول :

- حقًا ؟! ما رأيك إذن بهذا الثمن ؟!

تلقّفت (مشيرة) الصبى بين ذراعيها ، وهى تهتف :

ـ أيها الوغد .

ابتسم العقيد فى سخرية ، و ...

« ليس من حقك أن تفعل هذا .. »

نطقها الأستاذ (حسن) فـى صرامـة غاضبـة ، جعلت العقيد (باسل) يلتفت إليه فى حدة ، قائلاً :

ـ ماذا تقول يا رجل ؟!

تقدَّم الأستاذ (حسن) نحوه فى غضب ، مكررًا :

ـ ليس من حقك أن تفعل هذا .. لو أردت استعراض قوتك ، فليكن هذا مع شخص فى مثل حجمك .

قال (باسل) فى حدة ، وهو يستلّ مسدسه :

ـ شخص مثلك .. أليس كذلك ؟!

هتف الأستاذ (حسن) ، وهو يندفع نحوه :

ـ بلى .. شخص مثلى أيها الشـجاع .. يـا مـن لا تستحق الاسم الذى تحملـه .. فى البداية تصفـع صبيًا صغيرًا ، والآن تشهر مسدسك فى وجه شـخص أعزل .

صاحت زوجته مذعورة :

ـ (حسن) .. لا داعى لهذا .. أرجوك .

واندفع (هيثم) نحوه ، وتشبَّث بذراعه ، قائلاً :

ـ أرجوك يا أستاذ (حسن) .. ليس الآن .

التفت إليه (حسن) بحركـة حـادة ، فكرَّر ، وهو يغمز بعينه :

ـ ليس الآن .

خُيِّل للرجل أن الصبى يقصد شيئًا ما بقولـه هذا ، فتمتم فى حنق :

ـ أنت على حق يا ولدى .. ليس الآن .

انعقد حاجبا العقيد (باسل) أكثر ، وكأنما لم يرق لـه أن يحسم الأمر صبيًّا صغـيرًا ، فقـال فـى حـدة صارمة :

ـ هل توجد نسخ أخرى من هذا الشريط يا ولد ؟!

هزَّ (هيثم) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يجيب :

ـ كلاَّ .. إنها النسخةَ الوحيدة .

صاح به فى حدة :

ـ كاذب .

هتف الصبى معترضًا :

ـ لست كاذبًا .

صرخ (باسل) فى وجهه :

ـ بل أنـت كـاذب .. كل الصبيـة المتحذلقين أمثالك

يكذبون .. أنا أعرف هذا النوع جيِّدًا ، منذ كنت صغيرًا .. إنك لست صبيًّا عاديًّا .. لقد ساومت كتاجر يهودى ؛ لتبيع هذا الشريط ، ومن يتصرَّف على هذا النحو لا يمكن أن يحتفظ بنسخة واحدة من شىء ثمين كهذا .. إنك تمتلك نسخة أخرى حتمًا .

قال الصبى فى عناد :

ـ ليست لدى نسخة أخرى ؛ لأننى لا أمتلك جهاز نسخ .

صرخ (باسل) فى وجهه مرة أخرى :

ـ كاذب .

ثم جذبه من سترته ، ودفعه نحو الجنديين ، مستطردًا فى غضب صارم :

ـ وسأعرف كيف أجبرك على قول الحقيقة .

وهنا لم يحتمل الأستاذ (حسن) .

لقد انقضَّ على العقيد (باسل) ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .

وهنا ..

وبلا لحظة واحدة من التردُّد ، استدار العقيد (باسل) نحوه ، صارخًا :

ـ أنت أردت هذا ..



وبلا لحظة واحدة من التردُّد ، استدار العقيد (باسل) نحوه صارخًا : ـ أنت أردت هذا ..

وأطلق مسدسه الليزرى ..
وانطلقت صرخة قوية فى المكان ..
صرخةَ ترددت فى الحى كله ..
بلا استثناء ..

★ ★ ★

« الموت آت لا ريب .. »

هذه هى الفكرة ، التى قفزت إلى رأس (أكرم) ، عندما وجد نفسه عاجزًا عن بلوغ مدفعه ، وجنود الصاعقة يندفعون نحوه ، ومدافعهم الليزرية كلها مصوبَة إليه ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ، مع وهج وفحيح خيوط الليزر ، التى انطلقت فى المكان ، و ...

ولكن مهلاً ..

إنه لم يشعر بخيوط الليزر ، وهى تخترق جسده

لم يشعر بذلك الألم ، الشبيه بخيوط النار ، المصاحب لإصابات الليزر ..

ثم إن الأشعة تنطلق من مكان آخر ..

وبحركة سريعة ، أدار عينيه إلى مصدر الأشعة ..

ومرة أخرى ، انتفض جسده فى عنف ، والتقطت أذناه هتاف (رمزى) :

ـ يا إلهى ؟

فمن بين الأشجار ، برز جندى آخر ، من جنود الصاعقة ، تتألَّق عيناه بذلك الوهج الأحمر المخيف ، وراح يطلق أشعة مدفعه على رفاقه ، الذين استداروا يطلقون أشعتهم نحوه بدورهم ، فى محاولة لحماية أنفسهم ..

وكان القتال عجيبًا بحق ..

خيوط الليزر ، التى يطلقها هو ، كانت تصيب الآخرين ، وتقتلعهم من أماكنهم ، وتلقى بهم أرضًا فى عنف ، فى حين كانت أشعتهم تخترق جسده ، فى مواضع شتى ، وتتفجَّر منها الدماء فى غزارة ، دون أن يتحرَّك من مكانه ، أو يبدو عليه أدنى تأثُّر ، وكأنما لم تعد لديه أية مشاعر أو أحاسيس على الإطلاق ..

وفى ذهول ، حدَّق (أكرم) فى ذلك المشهد ، حتى شعر بيد (رمزى) تهزه فى قوة ، وسمع صوته يهتف به :

ـ هيَا يا رجل .. إنها فرصتنا .

انتزعت العبارة (أكرم) من ذهوله ، فاختطف

مدفعه ، وانطلق يعدو مع (رمزى) إلى داخل المستشفى ، تاركين ذلك الصراع العنيف خلفهم ، وهتف (رمزى) فى توتر :

- ولكن لماذا ؟! لماذا هاجمهم ؟!

هزَّ (أكرم) رأسه فى قوة ، هاتفًا :

- هذا لا يهمنى الآن .. المهم أن تدخُّله أنقذ حياتنا .

هتف (رمزى) ، وهو يلهث فى قوة :

- وهذا ما يدهشنى .. لقد بدا لى وكأن هذا هدفه الفعلى .

صاح (أكرم) ، وهو يثب عبر درجات السلم الداخلى ، إلى الطابق الثانى ، حيث حجرة (سلوى) و(نشوى) .

- إنه يستحق إذن خطاب شكر .

لحق به (رمزى) ، هاتفًا :

- كيف يمكنك أن تمزح ، فى موقف كهذا ؟! ألا يمكنك ..

استوقفه (أكرم) فجأة بإشارة متوترة من يده ، فبتر عبارته ، متسائلاً فى همس قلق :

- ماذا هناك ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يعدّ مدفعه فى حذر :

- إنه (نور) ؟!

ردَّد (رمزى) فى قلق حائر :

- (نور) ؟!

أجاب (أكرم) فى حزم ، وبصوت خافت للغاية :

- إنه فى الممر .. يبدو أنه اشتبك مع جنديين ، وهناك ثلاثة آخرون يصوبون مدافعهم الليزرية إلى رأسه .

هتف (رمزى) بأنفاس مبهورة :

- يا إلهى !

تحرَّك (أكرم) فى خفة وحذر ، قابضًا على مدفعه الليزرى ، فى نفس اللحظة التى تطلَّع فيها (نور) إلى الجنود الثلاثة ، الذين يصوِّبون مدافعهم الليزرية إليه ، ثم نهض واقفًا على قدميه ، وهو يقول فى صرامة :

- هيَّا .. أكملوا عملكم القذر .. اقتلوا رجلاً يقاتل من أجل (مصر) .

بدا التوتر على الجنود الثلاثة ، وهم يتبادلون نظرة عصبية ، قبل أن يقول أكبرهم رتبة فى حدة وحنق :

- إننا ننفذ الأوامر الصادرة إلينا .

أجابه (نور) فى غضب :

- هـذا هو الفـارق الرئيسى بيننـا وبينكم .. أنتم تطيعون الأوامر بلا مناقشة ، ونحن نتحرَّك بما تمليه علينا عقولنا وضمائرنا فحسب .

تبادل الجنود الثلاثة نظرة أخرى متوتـرة ، دون أن ينتبه أحدهم إلى (أكرم) ، الذى تسلَّل خلفهم فى حذر ، وهو يشير إلى (نور) إشارة خفية ، ليتظـاهر بعدم رؤيته ، حتى يبلغ موضعًا ، يمكنه منه السيطرة على الموقف كله ..

وفى توتر بالغ ، غمغم أحد الجنود الثلاثة :

- هذا الواقف أمامنا هو (نور) .. الرائد (نور الدين محمود) ، بطل التحرير .

قال (نور) ، فى شىء من السخرية العصبية :

- إننى أحمل الآن رتبة مقدَّم يا رجل .

انعقد حاجبا قـائد المجموعـة ، وهو يرمقه بنظرة صارمة ، فى حين قال الجندى الآخر فى عصبية :

- لقد فحص زميلنا ، ليطمئن إلى سلامته .

أجابه القائد فى صرامة :

- ولكنه قتل الآخر .

غمغم (نور) فى مرارة :

- لم أكن أتمنى حدوث هذا أبدًا .

صوَّب القائد مدفعه الليزرى إليه فى حزم ، وهو يقول فى صرامة :

- « نفذا الأوامر .. لا تجعلا العدو يخدعكما بمنطق معسول .. ليس من شـأننا بحث الأسباب .. إننا منفذون فحسب .

ثم هتف ، على الرغم من تردُّد زميليه :

- الوداع يا رجل الأمن الخائن .

لم يكد يتمَّ عبارتـه ، حتى انطلقت صرخـة قتاليـة قوية من (أكرم) ، فالتفت إليـه الجنـود الثلاثـة فى سرعة ، ولكن أشعة مدفعه الليزرى انطلقت تطيح بقائدهم ، الذى وثب جسده فى عنف ، قبل أن يسقط أرضًا كالحجر ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيهـا (نور) نحو الجندى الآخر ، وهوى علـى مؤخـرة عنقه بضربة قوية ، صائحًا :

- معذرة يا رجل .

ثم دار حول نفسه ، ليلكم الثانى فى فكه ، لكمة كالقنبلة ، متابعًا :

ـ ما كان ينبغى لهذا أن يحدث .

سقط الجنديان أرضًا ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها (أكرم) و(رمزى) نحو (نور) ، والأخير يهتف :

ـ (نور) .. أأنت بخير ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يندفع لفحص قائد المجموعة ، الذى أصابته أشعة (أكرم) فى صدره مباشرة ، فى حين صاح به (رمزى) :

ـ (نور) .. إنك مصاب .

هتف (نور) ، وهو يحل أزرار سترة رجل الصاعقة :

ـ هذا الرجل أيضًا مصاب بشدة .. إنه يحتاج إلى إسعاف عاجل .

أسرعت إليه الممرضة ، هاتفة :

ـ اترك لى هذه المهمة .

تراجع فى سرعة ، مفسحًا لها الطريق ، ثم لوَّح بمدفعه ، هاتفًا :

ـ أسرعا .. لقد نقلوا (سلوى) و (نشوى) إلى المشرحة .

هتف (أكرم) فى ارتياع :

ـ المشرحة ؟! يا إلهى !

فى نفس اللحظة ، التى اندفعوا فيها إلى المشرحة ، كان رجال الصاعقة فى الخارج يطلقون أشعة مدافعهم الأخيرة على الجندى ، الذى انهار جسده الآدمى ، وهوى جثة هامدة ، فى حين هتف قائد الرجال فى حزم :

ـ استخدموا دروع الطاقة .

ضغط كل منهم زرًا فى حزامه ، فتكوَّنت حول أجسادهم تلك الهالات الخضراء الباهتة ، وهتف أحدهم فى دهشة عصبية :

ـ لماذا فعل هذا ؟! لقد بدا وكأنه يدافع عنهم .

أجابه قائده فى حزم :

ـ إنه كذلك ..

ثم أدار عينيه فى وجوه الجميع ، مستطردًا فى صرامة :

ـ وهذا دليل جديد على صحة الأوامر ، التى صدرت من القيادة ، وعلى أن المقدَّم (نور) وفريقه يعملون لصالح الغرباء .

تبادل الرجال نظرة متوترة للغاية ، قبل أن يقول أحدهم :

- ولكن المقدّم (نـور) أنقـذ الأرض ذات مـرة يا سيّدى ، من غرباء آخرين(*) .

صاح بهم القائد :

- النفوس تتبدّل يا رجل ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ما تخفى الصدور .

ثم استدار إلى الباقين ، مضيفًا بلهجة آمرة :

- فليبـق ثلاثـة منكم لحراسـة المدخلين الأمـامى والخلفـى للمستشـفى ، فـى حيـن يتبعنـى الخمسـة الآخـرون ، لمواجهـة ذلـك الفريـق العلمـى الخـائن بالداخل .

قالهـا ، واندفـع داخـل المستشـفى ، فلحـق بـه الآخرون فى حزم ، وكـل منهم يحمـل مدفعه الآلـى ، على نحو يوحى بأن المواجهة ما زالت مستمرة .. وبمنتهى الحسم ..

* * *

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

لدقيقة كاملة ، ظلّ ذلك الظل ثابتًا فى مكانه ..

وكذلك الدكتور (حجازى) و(سلوى) و(نشوى) ..

كان الأمر يبدو وكأنه يدرس الثلاثة الواقفين أمامه ، لينتخب من بينهم ضحية جديدة ، يحتلّ جسدها ، بدلاً من ذلك الضابط ، الذى يرقد أرضًا ، على بعد أمتار قليلة منهم ..

ثم فجأة ، بدأ تحركه ..

وانتفضت أجسادهم جميعًا ، عندما اندفع نحوهم بسرعة كبيرة ، ودار فـى عقـول ثلاثتهـم ، فـى آن واحد ، تساؤل محدود ..

تُرى من منهم هذه المرة ؟!

من ؟!

من ؟!

وفى نفس اللحظة ، التى دار فيها هذا التساؤل فى رءوسهم ، ارتفعت دقات قوية على باب المشرحة المعدنى ، وارتفع صوت (نور) ، وهو يهتف :

- (سلوى) .. (نشوى) .. أأنتما بخير ؟!

ومع هتـافه ، توقّف ذلك الظلّ بغتة ، على قيد متر

واحد من الثلاثة ، فى حين هتفت (نشوى) فى لهفة :

- أبى .. إننا هنا .. النجدة .. النجدة ..

تراجع الظل فى سرعة عجيبة ، فى حين صاح (نور) :

- ابتعدوا عن الباب .

انطلق ثلاثتهم يعدون ، إلى الركن البعيد من القاعة ، ودوى انفجار مكتوم ، عندما أطلق (نور) مدفعه الليزرى على رتاج الباب ، ثم اقتحم المكان مع (أكرم) و (رمزى) فى عنف ، وهم يشهرون مدافعهم ..

وبسرعة مخيفة ، وفى مشهد ارتجفت له كل ذرة فى كيان (سلوى) و (نشوى) والدكتور (حجازى) أيضًا ، اندفع ذلك الظل نحوهم ..

وصرخت (سلوى) :

- لا .. لا ..

وبحركة عنيفة ، تراجع (أكرم) إلى الخلف ، ليرتطم بـ (رمزى) ، ويصطدم الاثنان بالباب المعدنى

الكبير ، ومال (نور) جانبًا ، وهو يتابع حركة الظلّ السريعة ببصره ، ورآه يعبر ذلك الفراغ ، بينه وبين (أكرم) و (رمزى) ، وسمع الأوّل يهتف :

- اللعنة !

ثم رآه يقفز معتدلاً ، ويطلق أشعة مدفعه الليزرى نحو ذلك الظل ، الذى عبر ممر المستشفى كطيف رهيب ، و (أكرم) يهتف خلفه :

- مت أيها الوغد .. مت ..

ولكن خيوط الليزر كلها لم تؤذ ذلك الظل ، الذى سرعان ما امتزج بظلال الممر ، واختفى وسطها تمامًا ..

ولثوان ظلّ (نور) جامدًا فى مكانه ، متسع العينين ، حتى هتفت (سلوى) ، وهى تندفع نحوه فى لهفة :

- (نور) .. حمدًا لله على سلامتك يا (نور) .

انتفض فى عنف ، وكأنما يخرج من كابوس عنيف ، والتفت إليها ، يتلقّاها بين ذراعيه ، وهو يقول :

- حمدًا لله على سلامتك أنت .

وتنفس الدكتور (حجازى) الصعداء ، متمتمًا :

- حمدًا للّه .. حمدًا للّه .

أما (نشوى) ، فقد ألقت نفسها بين ذراعى زوجها (رمزى) ، وانفجرت باكية ، وهى تهتف :

- ربّاه ! لماذا تأخّرت ؟!

ضمّها إليه فى حنان ، قائلاً :

- لقد أتيت فى النهاية يا عزيزتى .. أليس كذلك ؟!

وفى حزم القائد ، شدّ (نور) قامته ، متسائلاً :

- هل الجميع بخير ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- حمدًا للّه .. لقد وصلت فى الوقت المناسب تمامًا يا ولدى .

وهتفت (سلوى) :

- (نور) .. إنك مصاب فى كتفك اليسرى .

أجابها ، محاولاً الابتسام :

- إنها إصابة بسيطة يا عزيزتى .. السترة الواقية تلقّت معظم الضربة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تعالى وقع أقدام جنود

الصاعقة الستة ، الذين يعدون نحو المكان ، فهتف (أكرم) فى عصبية ، وهو يرفع مدفعه الآلى :

- اللعنة ! يبدو أن هذه الليلة لن تنتهى أبدًا .

وكان على حق تمامًا ..

فوصول هؤلاء المقاتلين الستة إلى المكان ، سيعنى حتمًا مواجهة جديدة ..

وعنيفة ..

إلى أقصى حد .

★ ★ ★



٥ - كل الخطر ..

تحفَّز رجال القوات الخاصة ، عند الحاجز الكبير ، فى مدخل مدينة (السادس من أكتوبر) ، عندما سطعت مصابيح السيارة الكبيرة ، التى تتجه إلى الحاجز مباشرة ، ورفع قائد الرجال يده ، ليستعد رجاله للمواجهة ، فارتفعت فوهات المدافع الليزرية فى صرامة ، وأمسك الرجل خلف المدفع الكبير زناد مدفعه ، وهو يصوِّبه نحو السيارة ، التى توقَّفت على قيد ثلاثة أمتار من الحاجز ، وهبط منها اثنان من رجالِ الحرس الجمهورى ، اتجه أحدهما نحو الرجال ، قائلاً :

- افسح الطريق لسيارة مستشار السيِّد الرئيس .

تبادل رجال القوات نظرة متوترة ، قبل أن يقول قائدهم فى عصبية :

- معذرة ، ولكن الأوامر لدى تحتم منع دخول أو خروج أى شخص ، مهما بلغت رتبته .

غادر (أمجد) ، المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية السيارة ، وتقدَّم نحو الرجل ، قائلاً :

- أيًا كانت الجهة ، التى أصدرت تلك الأوامر ، فالتصريح الذى أحمله يجبَها جميعًا ؛ لأنه يحمل توقيع السيد رئيس الجمهورية ، أعلى سلطة سياسية فى البلاد .

تبادل رجال الصاعقة نظرة أكثر توترًا ، على نحو يوحى بأنهم كانوا يتوقعون أمرًا كهذا ، قبل أن يقول قائدهم فى حزم :

- معذرة يا سيِّدى ، ولكن ليست لدى سلطة اتخاذ القرار ، فى هذا الشأن .

سأله (أمجد) فى غضب :

- إنك تواجه أعلى سلطة فى البلاد يا رجل .

أجابه فى صرامة :

- لست أدرى شيئًا عن ترتيب السلطات ، فى القيادة السياسية والعسكرية ، وكل ما أعلمه هو أننا فى ظروف طوارئ قصوى ، والقادة وحدهم لهم الحق فى اتخاذ أية قرارات جديدة ، أو تعديل القرارات القديمة .

انعقد حاجبا (أمجد) فى شدة ، وهو يميل نحو الرجل ، قائلاً :

- هل تدرك عاقبة ما تفعله يا هذا ؟!

زفر الرجل فى توتر بلغ ذروته ، وهو يجيب :

- نعم يا سيِّدى .

تابع (أمجد) ، وكأنه لم يسمعه :

- أسلوبك هذا يجعل الأمر أشبه بانقلاب عسكرى .

ارتفع حاجبا الرجل فى انزعاج ، وهو يهتف :

- انقلاب عسكرى ؟! مهلاً يا سيِّدى .. الأمور لم تبلغ هذا القدر حتمًا .. إننى أنفذ سياسة طوارئ قصوى فحسب .

صاح به (أمجد) :

- هذه الطوارئ نفسها تحتم دخولى إلى المدينة ، وأية محاولة لمنعى من هذا ، وأنا أحمل تصريحًا وتفويضًا من رئيس الجمهورية شخصيًا ، لا يمكن أن تعنى سوى حدوث انقلاب عسكرى ، مما يستوجب التعامل على نحو مختلف .

ثم شدّ قامته ، مستطردًا :

- أدخلنى أو أعتقلنى .. لا يوجد حل ثالث ، وعليك أن تتخذ قرارك على الفور .

تحفَّز جنديا الحرس الجمهورى ، المصاحبين له ، وقفزت أيديهما تلتقط مدفعيهما القصيرين القويين ، فارتفعت فوهات مدافع رجال القوات الخاصة ، وبدا الأمر منذرًا باشتباك دموى عنيف ، كفيل بتصعيد الأمور إلى حافة مخيفة ، مما جعل قائد الرجال يهتف فى صرامة :

- اخفضوا أسلحتكم .

أطاعه رجاله على الفور ، على نحو يؤكِّد حسن تنظيمهم وتدريبهم ، فى حين أدّى هو التحية العسكرية للمستشار الأمنى ، قائلاً :

- أعتذر مرة أخرى يا سيِّدى ، ولكن الأمر يحتاج إلى استشارة رئيسى المباشر ، وهذا سيستغرق بضع دقائق ، فى الظروف الحالية ، فهل تسمح لى ..

أشار (أمجد) بيده قائلاً :

- لا بأس .. لا بأس .. سأنتظر فى السيارة ، حتى ينتهى هذا الموقف السخيف .

قالها ، وأشار إلى رجلى الحرس الجمهورى المصاحبين له ، فأعادا مدفعيهما القصيرين إلى غمدهما ، وتراجعا فى حذر متحفز ، ليقفا على جانبى

السيارة ، التى تحمل فى مقدِّمتها علم (مصر) ، فى حين دلف هو إلى السيارة ، والتقط هاتفها الخاص ، وطلب رقم رئيس الجمهورية ، ولم يكد يلمح وجهه على شاشة الهاتف ، حتى قال :

- إنه أنا يا سيادة الرئيس .. إننى اتحدَّث إليك من عند حاجز المدخل الرئيسى للمدينة المحاصرة .. يبدو أن الأمور توحى بالشك فعليًا .

سأله الرئيس فى توتر بالغ :

- ماذا وجدت عندك يا (أمجد) ؟!

أجابه :

- رجال القوات الخاصة رفضوا دخولنا إلى المدينة ، قبل الحصول على تصريح من قائدهم أوَّلاً .

هتف الرئيس :

- ماذا ؟! ولكنك تحمل تصريحًا خاصًا منى !!

أجابه (أمجد) :

- من الواضح أن الرجال يجهلون ما يحدث أيضًا يا سيادة الرئيس ، وهذا ما يجعلهم قلقين متوترين ، على هذا النحو .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

- لقد كنا على حق يا سيادة الرئيس .. الموقف يخفى بالفعل سرًا غامضًا ، وربما يحتاج إلى تعامل خاص .. خاص للغاية .

نطق الجملة الأخيرة على نحو لا يمكن أن يفهمه سوى رجلين ، فى (مصر) كلها .

★ ★ ★

هو ..

والرئيس ..

وحدهما ..

★ ★ ★

لم تصدِّق زوجة الأستاذ (حسن) نفسها ، وهى تشاهد زوجها ينقض على العقيد (باسل) ، على هذا النحو ..

إنها تعلم كم هو عصبى مندفع ، ولكنها لم تتصوَّر قط أن يدفعه غضبه إلى أمر كهذا ، يخالف كل قواعد العقل والمنطق ..

لذا فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ، وانطلقت فى أعماقها شهقة مكتومة ، عندما استدار إليه العقيد (باسل) بسرعة مدهشة ، وأطلق عليه مسدسه الليزرى ..

وعلى الرغم من ضخامته ، وقوة اندفاعه نحو العقيد (باسل) ، إلا أن الأشعة القوية التى أصابته ، جعلت جسده يرتدّ فى عنف ، وهو يطلق صرخة قوية رهيبة ، امتزجت بصرخة زوجته الملتاعة ، قبل أن يسقط فوق الأريكة ، التى لم تحتمل ثقله ، فتهاوت محطمة فى عنف ..

وبكل ذعر الدنيا ، اندفعت الزوجة نحو زوجها ، صارخة :

- (حسن) .. (حسن) .. يا إلهى .. يا إلهى !

وصاحت (مشيرة) :

- أيها الوغد .. لقد خالفت نصف قوانين الدنيا ، وكل قواعد الإنسانية والآدمية .

صرخ فيها العقيد (باسل) :

- اصمتى ، وإلا نسفت رأسك بلا رحمة .

ارتفع صوت الأستاذ (حسن) ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول فى ألم ، ممسكًا جرح كتفه ، الذى تنزف منه الدماء فى غزارة :

- اصمتى يا سيدة (مشيرة) .. من الواضح أنه لا يقيم وزنًا لكل ما تتحدثين عنه ..

مطّ (باسل) شفتيه ، وقال وهو يعيد مسدسه إلى غمده :

- كان ينبغى أن أطلق مسدسى على رأسك ، وليس على كتفك .

بكت الزوجة فى مرارة ، وهى تحتضن زوجها ، الذى قال فى حنق :

- لم يكن ليدهشنى أن تفعل .

ابتسم العقيد (باسل) فى سخرية ، قائلاً :

- ولم يكن ليدهشنى أيضًا .

ثم عاد يدفع الصبى أمامه ، مستطردًا فى صرامة :

- هيا يا ولد .. سنذهب لزيارة منزلك ؛ لنعثر على ذلك الشريط الإضافى .. هيا .

أومأ الصبى برأسه إيجابًا فى استسلام شاحب ، وهو يتمتم :

- فليكن .. ولكننى أؤكد لك مرة أخرى أنه لا توجد نسخة ثانية من أى شريط .

ثم التفت إلى (مشيرة) والأستاذ (حسن) وزوجته ، مستطردًا بابتسامة باهتة :

- لا تقلقوا بشأنى .. سأكون بخير إن شاء الله (سبحانه وتعالى) .

دفعه (باسل) أمامه فى قسوة ، قائلاً :

- هيا أيها المتحذلق .

وصفق الباب خلفه فى قوة ، فهتف الأستاذ (حسن) :

- أيها الوغد .

هتفت زوجته فى هلع ، وهى تضع يدها على فمه :

- كفى يا (حسن) .. أرجوك .

هتف فى مرارة :

- أرأيت ما فعله بالصبى ؟! لقد تعامل معه بمنتهى القسوة .

أجابته (مشيرة) :

- إنه يتعامل مع الجميع بهذا الأسلوب .

ثم التقطت منشفة ورقية ، مستطردة :

- المهم الآن أن نداوى جرحك .

قال فى أسى :

- جرحى لا يقلقنى .. إنها إصابة بسيطة ، ما دمت لا أشعر بأية آلام فى عظام كتفى .

ابتسمت ، وهى تضمِّد جرحه ، قائلة :

- إصابات الليزر فى العظام لن تؤدى إلى أية آلام ؛ لأنه لا توجد أعصاب حسية فى العظام(*) .

حاول أن يبتسم ، وهو يقول :

- ولن تؤدى إلى كسور بالغة أيضًا .

ثم تأوَّه لحظة ، قبل أن يتابع :

- ما يقلقنى فعليًا هو موقف الصبى .

احتضنته زوجته فى حنان مشفق ، وهى تقول :

لا تقلق بشأن الصبى يا (حسن) ؛ فمهما فعل ذلك الوغد ، لن يمكنه العثور على شىء ؛ لأنه لا توجد بالفعل نسخة أخرى من ذلك الشريط .

تردَّدت (مشيرة) لحظة ، قبل أن تقول :

- فى الواقع أن ..

لم تتمَّ عبارتها ، ولكن الأستاذ (حسن) وزوجته التفتا إليها فى آن واحد ، وهتف الأوَّل فى توتر :

- سيِّدة (مشيرة) .. لا تقولى : إن هناك نسخة أخرى .

رفعت أحد حاجبيها ، وخفضته ، قائلة :

(*) حقيقة طبية .

ـ ولماذ لا أقول هذا ؟! هناك بالفعل نسخة أخرى من الفيلم .

ثم ابتسمت ، مستطردة :

ـ ولكنها ليست فى منزل (هيثم) .

وارتفعت يدها ، ممسكة بأسطوانة النسخ الصغيرة ، وهى تتابع ، وابتسامتها تتسع :

ـ إنها هنا .

فى نفس اللحظة ؛ التى نطقت فيها بعبارتها هذه ، كان العقيد (باسل) يتلقَى اتصالاً ليزريًا ، من قائد مجموعة الأمن ، عند المدخل الرئيسى للمدينة ، وهذا الأخير يشرح له الموقف كله ..

وبمنتهى الاهتمام والتوتر ، استمع (باسل) إلى قائد المجموعة ، ثم قال :

ـ اسمع يا هذا .. أخبر مستشار الرئيس أنك تعجز عن العثور علىَّ .. قل له : إن القبة الكهرومغنطيسية تصنع بعض المتاعب بشأن الاتصالات الداخلية ، وأن هذا سيستغرق بعض الوقت .

أجابه قائد المجموعة فى حزم :

ـ كما تأمر يا سيِّدى .

وما إن أنهى (باسل) ذلك الاتصال الداخلى ، حتى ضغط زر الاتصال العام ، المحمول على الليزر ، وطلب الرقم الشفرى الخاص بوزير الدفاع ، ولم يكد يسمع صوته ، حتى قال فى توتر :

من ألف وواحد إلى صفر واحد .. الأمور تطوَّرت بغتة إلى المستوى (ج) .. المستشار الأمنى للرئيس هنا ، يريد دخول المدينة لمعرفة ما يحدث داخلها .. أريد معرفة خطة العمل القادمة .

مرَّت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت وزير الدفاع ، وهو يقول :

ـ اصطنع أية عقبة لمنع دخوله مؤقتًا يا ألف وواحد ، حتى يتم الاتصال بك مرة أخرى ، خلال ربع الساعة على الأكثر .

قال (باسل) فى حسم :

ـ عُلِمَ وسينفَّذ .

وأنهى الاتصال ، وهو يلتفت إلى الصبى ، قائلاً فى صرامة :

ـ هيا أيها الصبى .. فى ظلّ الظروف الحالية ، أصبح العثور على نسخة الشريط الثانية على قائمة الأولويات .. هيا .

مطّ الصبى شفتيه ، وهو يتجه نحو منزله ، مغمغمًا :

ـ للمرة الأخيرة أؤكّد لك إنه لا توجد نسخة أخرى .

وبينما يدفعه (باسل) فى قسوة إلى منزله ، كان وزير الدفاع يلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قائلاً :

ـ الأمور أصبحت أكثر تعقيدًا .

سأله الدكتور (ناظم) ، فى شحوب :

ـ كيف ؟!

أجابه فى حزم :

ـ (أمجد) وصل إلى المدينة .

اتسعت عينا القائد الأعلى ، وهو يهتف :

ـ (أمجد صبحى) ؟!

أشار الوزير بسبّابته ، قائلاً :

ـ هو بعينه .. رجل المخابرات الفذ السابق ، والمستشار الأمنى الحالى لرئيس الجمهورية ..

لقد وصل إلى (السادس من أكتوبر) ، ويصرّ على دخول المدينة ؛ لتفقّد الأحوال داخلها .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة ارتياع ، قبل أن يقول الأخير فى عصبية :

ـ سيكشف الأمر حتمًا .

وزفر الأوّل فى توتر بالغ ، متمتمًا :

ـ لقد أصبحت مسألة وقت ، فما دام (أمجد) داخل المدينة الآن ، فهذا يعنى أن ....

قاطعه وزير الدفاع :

ـ إنه لم يدخلها بعد .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟! هل أبلغ بقرب وصوله ، أم ...

قاطعه الوزير مرة أخرى فى عصبية :

ـ إنه عند الحاجز الرئيسى لمدخل المدينة ، والرجال هناك منعوه من الدخول .

صرخ الدكتور (ناظم) مستنكرًا ومرتاعًا :

ـ منعوه ؟!

وهبّ القائد الأعلى من مكانه ، صائحًا :

ـ هل جننتم يا رجل ؟! ألا تدركون ما يعنيه هذا ؟!

إنكم على مشارف انقلاب عسكرى فعلى ، عندما ترفضون أو تمنعون دخول المستشار الأمنى الأوَّل لرئيس الجمهورية ، من عبور حاجز أمنى ، مهما كانت درجة الطوارئ ..

أومأ الوزير برأسه متفهمًا ، وهو يقول فى عصبية :

ـ أعلم هذا ، ولكن الرجال لم يمنعوه من منطلق الأمن ، فلدينا خطة طوارئ ، لمثل هذا الاحتمال ، يدَّعى خلالها المسئول أنه لا يستطيع اتخاذ أى قرار ، دون الرجوع إلى رئيسه ، وهذا الأخير سيتظاهر بأن العثور عليه شاقٌ ، فى ظروف الطوارئ القصوى ، وسيضيع بعض الوقت ، حتى نخبره ما ينبغى أن يفعله .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ وما الذى يمكن أن يفعله ، فى مثل هذه الأمور ؟!

أجابه فى صرامة :

ـ الكثير .. لدينا خطة طوارئ ، تسمح لمثله بدخول المدينة ، دون أن يمكنه كشف ما يحدث .

سأله القائد الأعلى فى عصبية :

ـ وماذا لو لم تنجح هذه الخطة ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يجيب :

ـ أتعشَّم ألا نبلغ هذه المرحلة قط .

وامتقع وجها الرجلين لجوابه المقتضب هذا ..

ومن أعماقهما ، تصاعدت نبرة متوترة إلى أقصى حد ..

نبرة تؤكِّد لهما أنهما يغوصان أكثر وأكثر ، فى المستنقع الذى صنعاه ..

يغوصان حتى الأعماق ..

أعمق الأعماق ..

★ ★ ★

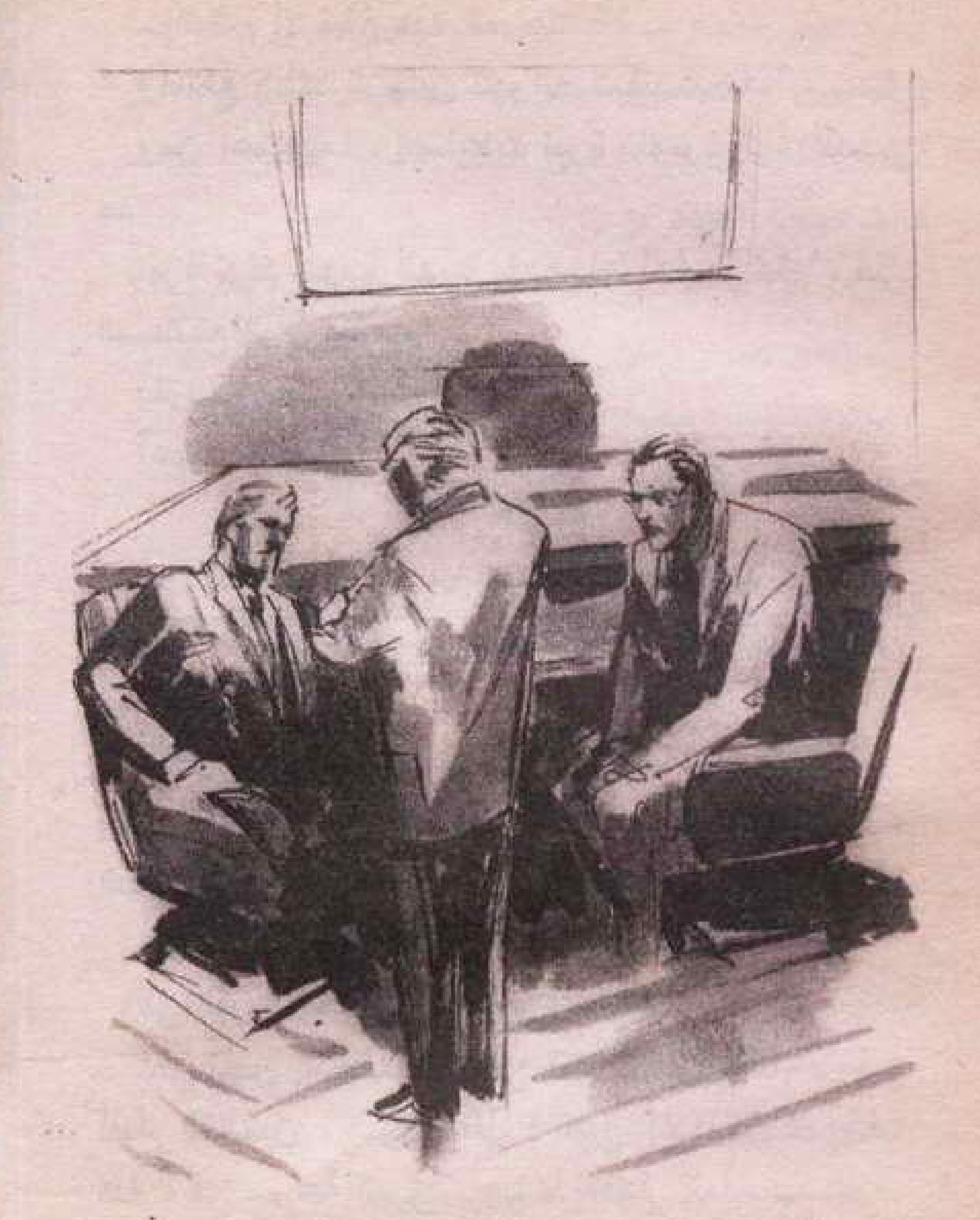
من المؤكَّد أن رجال الصاعقة يتلقَّون تدريبات خاصة مكثَّفة ، تجعل منهم أفضل المقاتلين ، فى أرض المعركة .

ولكن من المؤكَّد أيضًا ، أنه بالنسبة للتفكير والتدبير ، وحسن التفاعل مع الظروف والملابسات الطارئة ، لن تجد أفضل من رجال المخابرات ..

وبالذات ، رجال المخابرات العلمية ..

فى القرن الحادى والعشرين ..

ففى نفس اللحظة ، التى التقطت فيها أذناه وقع أقدام القادمين ، انطلق عقل (نور) يدرس الموقف كله ، فى سرعة البرق ، ويتخذ القرار المناسب ..



ومن أعماقهما ، تصاعدت نبرة متوترة إلى أقصى حد ..

وقبل حتى أن يستوعب الباقون الأمر ، كان هو يهتف :

ـ اتبعونى .

قالها ، وانطلق يعدو عبر الممر ، فى اتجاه مضاد لذلك الذى يأتى منه وقع الأقدام ، فتبعه الجميع بأقصى سرعتهم ، وسأله (رمزى) لاهثًا :

ـ إلى أين يا (نور) ؟!

أجابه فى سرعة ، وهو يواصل العدو :

ـ غرف الموتى بكل المستشفيات ، تتصل بمرآب سيارات الإسعاف ، الذى يتصل بدوره بالباب الخلفى ، وعندما نبلغه ، سنجد حتمًا سيارة إسعاف ، يمكننا أن نتخذها وسيلة للخروج من هنا .

لم ينبس أحدهم ببنت شفة بعدها ، وإن تركزت آذانهم على وقع الأقدام ، الذى تعالى أكثر وأكثر ، على نحو يوحى بأن مطارديهم قد زادوا من سرعتهم للحاق بهم ..

وما هى إلا ثوان معدودة ، حتى وجدوا أنفسهم داخل مرآب السيارات ، الذى ضم أربع سيارات إسعاف ، وسيارة نقل أدوات طبية كبيرة .

وبسرعة ، ودون أن يتبادلوا حرفًا واحدًا ، قفز الجميع داخل إحدى سيارات الإسعاف ، واتخذ (أكرم) مقعد القيادة ، وأدار المحرك ، و ....

وهنا ، ظهر رجال القوات الخاصة الستة ..

وفى غضب ، هتف قائدهم :

- ها هم أولاء .

ومع هتافه ، ضغط (أكرم) دوّاسة الوقود ..

وانطلق بالسيَّارة ..

وبكل غضبهم وثورتهم ، أطلق الجنود الستة مدافعهم خلف السيارة ، التى اندفع بها (أكرم) بسرعة مخيفة ، جعلت إطاراتها تطلق صريرًا رهيبًا ، قبل أن تقفز نحو ممر الخروج الخلفى ..

وفى انزعاج ، هتف الدكتور (حجازى) :

- ربّاه ! البوّابة الخلفية معدنية ، ولن يمكننا تجاوزها أبدًا .

أجابه (نور) ، وهو يطلق أشعة مدفعه بدوره ، عبر الباب الخلفى لسيارة الإسعاف ، نحو رجال القوات الخاصة الستة :

- فلنترك هذا لـ (أكرم) .

كان (أكرم) فى موقف لا يحسد عليه ، عندما نطق (نور) عبارته هذه ؛ فقد انطلق بالسيارة فى ممر الخروج ، متوقعًا أن يندفع بها خارج المستشفى ، بأقصى سرعة ممكنة ، ولكنه فوجئ بالبوّابة المعدنية المغلقة أمامه ، فانحرف بنفس سرعته ، حتى إن السيارة مالت فى عنف ، وبدت وكأنها ستنقلب على جانبها ، وإطاراتها تطلق صريرًا مخيفًا ، وفقد (نور) والآخرون توازنهم ، فكادوا يسقطون من السيارة ، فهتف (رمزى) :

- رويدك يا (أكرم) .. كدت تقتلنا .

ولكن (أكرم) لم يتوقّف ، أو يحاول إجابة عبارته ، وهو ينطلق فى الممر الجانبى الضيق ، بمحاذاة سور المستشفى ، بحثًا عن مخرج آخر ، قبل أن يغمغم :

- اللعنة ! إننا محاصرون هنا .

برز أمامه فجأة اثنان من رجال الصاعقة ، وانطلقت أشعة مدافعهم نحوه ، فاخترقت زجاج السيارة الأمامى ، مما جعله ينحنى فى سرعة ، متفاديًا طلقاتهما ، ثم ينحرف إلى سلم عيادة الطوارئ ، ويثب إليه بالسيارة ، على نحو بدا أشبه بما يحدث

فى أفلام الحركة القديمة ، والسيارة تصعد السلم ، ثم تخترق باب العيادة الزجاجى الكبير ، لتندفع فى صالة العيادة ، ثم تنحرف نحو ردهة الاستقبال الضخمة ، وتقفز منها إلى درجات السلم القليلة ، حتى ساحة المستشفى ، وتنطلق بأقصى سرعتها ، نحو البوَّابة الأمامية الكبيرة ، وخيوط الليزر تطاردها ، وتخترقها فى مواضع عديدة ..

وصاح قائد رجال الصاعقة :

ـ أغلقوا البوَّابة .. امنعوهم من الخروج بأى ثمن .

انطلق رجال الصاعقة ، على نحو سريع منظَّم ، وبتنسيق مدهش دقيق ، يحاصرون السيارة ، واندفع أحدهم نحو حجرة التحكم الإليكترونى ، ليغلق البوَّابة المعدنية الكبيرة فى وجهها ، فهتف (أكرم) فى حنق ، وهو يضغط دوَّاسة الوقود أكثر وأكثر ، وكأنه يحاول دفع السيارة للانطلاق بسرعة مخيفة ، تفوق قدرة محركها بمرات ومرات :

ـ اللعنة ! لن يمكننا الخروج من هنا أبدًا .

كانت البوَّابة قد بدأت رحلة الإغلاق بالفعل ، فى حين انهالت خيوط الليزر على السيارة كالمطر ،

من كل الاتجاهات ، فصرخت (سلوى) ، وهى تحمى وجهها بذراعيها ، وتهبط إلى قاع الصندوق الخلفى لسيارة الإسعاف ، وانحنى (نور) و(رمزى) بدوريهما ، لتفادى الخيوط القاتلة ، التى اخترقت السيارة ، من أحد جانبيها إلى الآخر ، وصاح الدكتور (حجازى) ، وهو يلتصق بأرضية السيارة فى ذعر :

ـ رباه ! لماذا يحدث كل هذا ؟! لماذا ؟!

أما (نشوى) ، فقد ظلَّت واقفة ، فى شرود عجيب ، وكأنما لا تشعر بما يواجهه الآخرون ، ولا بخيوط الليزر ، التى تنطلق أمامها وخلفها ، فهتفت بها (سلوى) :

ـ اهبطى يا (نشوى) .. اهبطى بالله عليك .. اهبطى يا ابنتى .

ولكن (نشوى) غمغمت كالشاردة :

ـ لا بد أن نخرج من هنا .. لا بد .. لا يمكننى أن أفعل شيئًا ، إلا إذا اخرجنا من هنا سالمين .

هتف الدكتور (حجازى) فى ذهول :

ـ ما الذى تقوله ؟!

أما (نور) ، فهتف :

ـ يا إلهى ! يا إلهى !

لم يكد يتمَ عبارتـه ، حتـى أطلقت ابنتـه صرخـة رهيبـة ، تجمع بين الألـم والذعـر والهـلع ، وهـى تمسك رأسها بيديها ، قبل أن تسقط على ركبتيها ، صائحة :

ـ لا .. لا .. لا يمكننى أن احتمل هذا .

ومع آخر حروف كلماتها ، وأمام عيونهم جميعًا ، انبعث من مؤخرة عنقها لسان رفيـع من اللهب ، ثم انطلق منه ذلك الظل ..

وانخلعت قلوب الجميع فى خوف بلا حدود ، ورهبة لا مثيل لها ..

هذا لأن ذلك الظلّ بالذات ، لم يكن يشبه كل الظلال الأخرى ..

كان ضخمًا ، كبيرًا مهيبًا ، وبدا وكأن فراغ السيارة كله لا يكفيه ..

ثم إنه لم ينتظر سوى جزء من الثانية ، انطلق بعده خارج السيارة ، واندفع نحو البوّابـة بسرعة خرافية ، جعلته يسبق السيارة بثلاثة أمتار ، على الرغم من سرعتها المخيفة ، التى ينطلق بها (أكرم) ، الذى هتف مبهورًا :

ـ رباه ! ما هذا أيضًا ؟!

لم يجد من يجيب أو ما يجيب سؤاله ، إلا أنـه لـم يهتمَ بهذا قليلاً أو كثيرًا ..

كل ما أثار اهتمامه ، هو أن البوّابة قد توقّفت عن الانغلاق ، عندما بلغها ذلك الظل ، فهتف فى حماس :

ـ يا إلهى ! هناك أمل .. ما زال هناك أمل .

وفى ذهول ، اتسعت عيون رجال القوات الخاصة ، أمام ذلك المشهد الرهيب ، وانخفضت فوهات مدافعهم الليزرية فى رهبة ، فى حين قفزت سيارة الإسعاف عبر البوّابـة نصف المفتوحـة ، متجاوزة ذلك الظـلّ الهائل ، وانطلقت تبتعد وسط الظلام ..

وتبتعد ..

وتبتعد ..

أما الظلّ الكبير ، فقد استدار إلى رجال القـوات الخاصة لحظة ، ثم اندفع فجأة نحو الظلام المحيط بالكان ، واختفى داخله دفعة واحدة ..

وهنا ، انتفض جسد قائد الرجال ، وهتف :

ـ يارب العالمين ! يارب العالمين !

ثم التقط من جيبه جهاز اتصال آخر ، بخلاف ذلك

الذى تحطَّم من قبل ، وضغط زرّه ، وهو يقول متوترًا :

ـ من ألف ومائة إلى ألف وواحد .. هناك تطوّر جديد .. تطوّر خطير للغاية .

نطقها ، وعيناه تحدقان فى الظلام المحيط بالمكان .. الظلام ، الذى بدا له وكأنه يضمّ ألف ظل ..

بل ملايين من تلك الظلال ..

الظلال الضخمة ..

الرهيبة ..

★ ★ ★

احتقن وجه العقيد (باسل) فى شدة ، واختنقت الكلمات فى حلقه لحظات ، وهو يتلقَّى تقرير قائد مجموعة المستشفى ، ثم لم يلبث أن قال فى حدة ، وقد اكتسب صوته غلظة وخشونة عجيبتين :

ـ وماذا تنتظر يا رجل .. اجمع من تبقَّى من رجالك ، وانطلق خلفهم على الفور .

سأله الرجل فى قلق :

ـ وماذا عن المستشفى ؟!

صاح به فى غضب :

ـ فليذهب المستشفى إلى الجحيم .. لم تعد بنا

حاجةٌ إليه بعد فرارهم .. قلت لك : اجمع كل من تبقَّى من رجالك ، وانطلق خلفهم فورًا .. أريد منكم أن تسحقوهم سحقًا ، لا أريد أحدًا منهم على قيد الحياة ، عندما يبدأ مستشار الرئيس جولته .

ردَّد قائد المجموعة فى قلق متوتر :

ـ مستشار الرئيس ؟!

صاح به العقيد (باسل) :

ـ لا شأنٍ لك بهذا يا رجل .. ليس من واجبك أن تدرس وتفكِّر .. نفذ الأوامر فحسب .. هيا .. لا تضع لحظةً واحدة .

غمغم الرجل :

ـ كما تأمر يا سيادة العقيد .. كما تأمر .

أنهى العقيد (باسل) الاتصال فى عصبية ، والتفت إلى (هيثم) ووالديه ، قائلاً فى حدة :

ـ لا ريب فى أنكم قد سمعتم هذا .. أليس كذلك ؟! إنكم تدركون الآن أننى أواجه بالفعل مشكلات أخرى عويصة ، وليست لدى أية نية لإضاعة أى وقت معكم .. أريد نسخة الشريط الإضافية على الفور ، وإلا نسفت المنزل بأكمله .

قال (هيثم) فى توتر :

ـ قلت لك : إنه ..

صرخ فيه (باسل) فى ثورة :

ـ اخرس .. قلت لك إنك كاذب ، فإياك أن تكرِّر كذبتك السخيفة على مسامعى ، وإلا ..

مطَّ الصبى شفتيه فى حنق ، وأشاح بوجهه ، فى حين قال والده ، فى انزعاج شديد :

ـ سيادة العقيد .. إننا لا ندرى شيئًا عما تتحدَّث عنه .. أقسم لك .. هذا الصبى يسبِّب لنا الكثير من المشكلات ، على الرغم من أننا نحسن تربيته والعناية به ، و ..

قاطعه (باسل) فى عصبية ونفاد صبر :

ـ كفى يا رجل .. إننى أبغض هذه الأساليب الخطابية ، وأميل إلى الأسلوب العملى فى حسم الأمور ، فإما أن ترشدونى إلى نسخة الشريط ، أو يتملَّكنى الغضب ، وعندما يحدث هذا فأنا أتحرَّك على نحو لا يعجب الجميع .

ثم ركل التلفاز بكل قوته ، فسقط أرضًا ، وتحطَّمت شاشته البلَّورية بدوى مخيف ، وهو يستطرد صارخًا :

ـ لا يعجبهم أبدًا .

صرخت أم (هيثم) فى رعب ، فى حين هتف والده :

ـ سيادة العقيد .. أقسم لك إننا نجهل ما تتحدَّث عنه .

صاح به فى ثورة :

ـ ابنك الخبيث المتحذلق هذا يعرف عمَّ أتحدَّث ، ولو رفض تنفيذ ما أطلبه ، فستدفعون جميعًا الثمن .

قالت الأم مرتجفة :

ـ إنه مجرَّد صبى .

شدَّ قامته ، قائلاً فى حدة :

ـ وأنا مجرَّد ضابط جيش ، مهمتى تحقيق الهدف من المهمة ، بغض النظر عن أية تضحيات يمكن بذلها فى هذا السبيل ، حتى ولو اضطر الأمر إلى إعدام نصف سكان الحى .

ثم دفع مصباح ركن كبيرًا فى عنف ، ليسقط متحطمًا بدوى مرتفع ، وهو يضيف :

ـ وتحطيم ممتلكاتهم .

احتقن وجه الأب والأم ، وهتف الأوَّل فى حدة :

- أعطهم ما يريدون يا (هيثم) .. لا تعرِّضنا لكل هذا .

قال الصبى فى صرامة :

- لست أمتلك ما يريدون .

هتف به (باسل) فى غضب :

- هكذا !

ثم سحب مسدسه الليزرى ، وصوَّبه إلى رأس والده ، مستطردًا فى حدة :

- فليكن .. جريمة الأبناء سيدفعها الآباء .

صرخت الأم فى ذعر ، واحتضنت زوجها ، الذى هتف فى رعب :

- لا .. لا تفعل هذا ... أرجوك .

صاح به (باسل) :

- ما دام ابنك يصرّ على عناده ، فلتدفع حياتك ثمنًا لهذا .

لوَّح الرجل بيده أمام وجهه ، وهو يصرخ :

- لا .. إنه .. إنه ليس ..

هتفت زوجته فى ارتياع :

- لا .. لا تنطقها .

ولكنه تابع فى انهيار :

- ليس ابننا .

انتفض جسد (هيثم) فى رعب ، وحدَّق فيهما باستنكار ذاهل ، فى حين دفنت الأم وجهها بين كفيها ، وانفجرت باكية ، ولوَّح العقيد (باسل) بمسدسه ، وهو يعقد حاجبيه ، قائلاً فى عصبية :

- ما هذا بالضبط ؟! جزء من فيلم (الخطايا)(*) ؟!

خفض الرجل عينيه أرضًا ، وهو يقول فى مرارة :

- بل حقيقة واقعة يا سيادة العقيد .. (هيثم) ليس ابننا .. بل ولسنا ندرى حتى من والداه ، ولا ما هو اسمه الحقيقى ، فقد عثرنا عليه ذات يوم ، فى العام الثانى من عمره ، ولما كنا لم ننجب ، فقد ..

(*) الخطايا : فيلم مصرى ، من إنتاج عام ١٩٦٢م ، قصة (محمد عثمان) سيناريو وحوار (محمد عثمان) و(محمد مصطفى سامى) ، بطولة (عبد الحليم حافظ) ، و(نادية لطفى) ، و(عماد حمدى) ، و(حسن يوسف) ، و(مديحة يسرى) ، تصوير (وحيد فريد) ، وإخراج (حسن الإمام) ، ومن أشهر مشاهده اللحظة التي يواجه فيها الأب (عماد حمدى) ابنه (عبد الحليم حافظ) ، بأنه ليس ابنا شرعيًا له ، ولكنه ابن بالتبنى .

صرخ (هيثم) يقاطعه :

ـ لا .. هـذا ليس حقيقيًا .. إنكما تكذبان لإنقـاذ نفسيكما .

بكت الأم فى مرارة أكثر ، وأشاح الأب بوجهه ، قائلاً :

ـ آسف يا (هيثم) .. آسـف يا ولـدى .. لم أكن أتصورَ أننى سأبوح بهذا السرّ قط ، ولكن ..

قاطعه العقيد (باسل) هذه المرة فى حدة ، وهو يعاود التلويح بمسدسه :

ـ كل هذا لا يصنع فارقًا بالنسبة لى ، فليس لدى الوقت لمشاركتكم هـذا التـأثُر ، والموقف العاطفى السخيف .

صرخ فيه (هيثم) :

ماذا تريد منا الآن ؟! ألم يكفك ما فعلته ؟!

احتقن وجه العقيد (باسل) فى غضب ، وهو يهتف :

ـ أيها الطفل اللعين .. إنك تستحق هذا .

قالها ، ومسدسه ينخفض نحو الصبى ، و ...

وضغط الزناد ..

وبكل ذعر وهلع الدنيا ، صرخ الأب :

ـ لا .. ليس (هيثم) .

انطلقت صرخته ، وهو يثب بكيانه كله ، ليعترض طريق الأشعة القاتلة ..

وصرخت الأم صرخة مدوية ، عندما رأت الأشعة تخترق صدر زوجها ، الذى انتفض فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، عند قدمى (هيثم) ، الذى حدَق فيه بذهول ، فى حين صرخت الأم مرة أخرى ، ووثبت نحو (باسل) ، وغرست أظفارها فى عنقه ، وهى تصرخ :

ـ أيها القاتل !! أيها السفاح .

انتزعها العقيد (باسل) عن عنقه فى قسوة ، وألقاها أرضًا فى عنف ، وهو يهتف بأحد جنوده :

ـ أطلق النار على تلك الحقيرة .

صرخ (هيثم) :

ـ لا تقتل أمى أيها الوغد .

صاح (باسل) فى ثورة :

ـ أقتلهما أيها الجندى .. اقتل الصبى وأمه .. الآن .

ولكن أحدًا من الجنود الثلاثة المصاحبين له ، لم يرفع حتى فوهة مدفعه ، وإنما تبادل ثلاثتهم نظرة متوترة ، قبل أن يقول أحدهم فى ضيق :

ـ معذرة يا سيادة العقيد ، ولكننا لم نلتحق بالقوات الخاصة ، لنطلق النار على النساء والصبية .

احتقن وجه العقيد (باسل) ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول أيها الجندى ؟! هل تجرؤ على مخالفة الأوامر ؟!

ألقى الجندى مدفعه الليزرى أرضًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ يمكنك تحويلى إلى محاكمة عسكرية يا سيِّدى .

احتقن وجه (باسل) أكثر وأكثر ، وقال فى غضب :

ـ ثق أننى سأفعل أيها الجندى .

ثم استدار بمسدسه إلى الصبى ، مستطردًا فى ثورة :

ـ بعد أن انتهى من هذه المهمة العاجلة .

صرخت الأم ، وهى تنقضّ عليه فى شراسة :

ـ اهرب يا (هيثم) .. اهرب .

تراجع الصبى فى ارتياع ، ورأى خيوط أشعة مسدس (باسل) تخترق جسد أمه ، والدماء تتفجَّر من مواضع الإصابة فى عنف ، فصرخ :

ـ أيها القاتل .. أيها القاتل !

ثم انطلق يعدو بكل قوته ، و(باسل) يدفع جثة الأم جانبًا ، ويصرخ :

ـ الحقوا بالصبى .. أمسكوا به .. أريده حيًّا .

كلمته الأخيرة وحدها جعلتهم يندفعون خلف الصبى ، الذى وثب من نافذة المطبخ ، وراح يجرى بأقصى سرعته ، حتى اختفى فى الظلام ..

أما (باسل) ، فقد ألقى نظرة على ما حوله ، ثم تمتم :

ـ أمور معقَّدة للغاية ، ولكن لا بأس .. سنطبق نظرية الاستفادة من الكوارث ، ونحوِّل الموقف كله لصالحنا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يضيف :

كلمته الأخيرة وحدها جعلتهم يندفعون خلف الصبى ، الذى وثب من نافذة المطبخ ، وراح يجرى بأقصى سرعته ..

ـ وسنصنع منه خنجرًا ماضيًا ، ينغرس فى قلب (نور) هذا وفريقه ، ويزيحهم عن طريقنا .. وإلى الأبد .

قالها ، وهو يطلق ضحكة عالية ..

ضحكة ساخرة ..

شامتة ..

ومخيفة .





٦ـ الطعنــــة ..

على الرغم من كل العنف والرعب ، اللذين شهدهما مستشفى (السادس من أكتوبر) ، فى تلك الليلة الرهيبة ، إلا أنه لم تكد سيارات رجال القوات الخاصة تغادره ، فى طريقها لمطاردة (نور) وفريقه ، حتى خيَّم عليه هدوء عجيب ، حتى لا تكاد تسمع أدنى صوت ، مما يوحى بأن المكان صار خاليًا مهجورًا ، لولا الأضواء التى تسطع من بعض نوافذه ..

وتحت ذلك الستار من الصمت والسكون ، تسلَّلت بعض الظلال إلى المدخل الخلفى للمستشفى ..

ظلال بشرية هذه المرة ..

ظلال (نور) ورفاقه ، وهم يحملون (نشوى) الفاقدة الوعى ، ويتسلّلون بها إلى الجزء الخلفى من المستشفى ، حيث حجرات الموتى والمشرحة ، و(أكرم) يتمتم :

- هل تعتقد أنه من الحكمة أن نعود إلى هنا يا (نور) ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- بالتأكيد يا صديقى .. إنه آخر مكان سيخطر ببالهم ، فى هذه الظروف .. لقد انطلقوا جميعًا لمطاردتنا ، دون أن يتركوا واحدًا منهم لحراسة المستشفى ، وهذا يعنى أنهم لا يتوقعون عودتنا إليه قط .

غمغم (أكرم) ، وهو يتلفَّت حوله فى عصبية :

- أتعشمً أن تكون محقًا يا (نور) .

قال (رمزى) ، وهو ينقل زوجته إلى إحدى الحجرات ، المخصصة لحفظ جثث الموتى .

- (نور) دائمًا على حق .

ساعده الدكتور (حجازى) و(سلوى) على إرقاد (نشوى) فوق مائدة رخامية كبيرة ، وفحصها هو فى اهتمام ، قبل أن يتمتم فى ارتياح :

- إنها غيبوبة عادية .. ستستعيد وعيها بعد قليل .

هتفت (سلوى) ، وهى تجلس أرضًا ، إلى جوار المائدة الرخامية :

- حمدًالله .. حمدًالله .

ثم هتفت بلهجة أقرب إلى البكاء :

- لماذا يحدث كل هذا يا (نور) ؟! لماذا نضطر لخوض كل هذه المعارك داخل وطننا ، وكأننا مطاردون فى دولة أخرى ؟! لماذا يقاتلنا رجال جيشنا على هذا النحو ؟!

جلس الدكتور (حجازى) بدوره أرضًا ، وهو يقول فى توتر :

- نعم .. لماذا يا (نور) ؟! لقد أصبح كل شىء بالنسبة لى معكوسًا أو مشوشًا .. جيشنا يقاتلنا ، والظلال الرهيبة تنقذنا .. هل تدرك أى تناقض هذا ؟!

اتجه (أكرم) نحو مائدة رخامية أخرى ، وجلس فوقها ، وهو يلوّح بمدفعه الليزرى القصير ، قائلاً فى عصبية :

- لو أردتم رأيى ، فتلك الظلال تبدو أقرب إلى الصديقة ، منها إلى العدوة .

رفع (نور) رأسه إليه فى حزم ، قائلاً :

- إنها ليست كذلك حتمًا .

قال (رمزى) فى توتر :

- ولكنها تقاتل إلى جوارنا بالفعل يا (نور) .

أجابه (نور) فى صرامة :

- لا تجعلوا هذا يخدعكم ، وسلوا أنفسكم أوّلاً : لماذا تقاتل تلك الظلال إلى جوارنا ؟!

سأله (أكرم) :

- لماذا فى رأيك ؟!

التفت ، يشير إلى ابنته ، مجيبًا :

- لحماية (نشوى) .

سألته (سلوى) فى قلق :

- ولماذا ؟!

أشار بيديه ، قائلاً :

- مما رويتموه لى ، خلال عودتنا إلى هنا ، يمكننى أن أتوقّف عند نقاط عديدة ، أوّلها ما قالته (نشوى) ، داخل فيلا الدكتور (وائل) ، عندما أكّدت أنه باستطاعتها فتح خزانة الأسطوانات الإليكترونية ، ومعرفة كل ما يخفيه عالم الطاقة الراحل .. أعتقد أن أحد هذه الظلال أدرك عندئذ أن الحل كله يكمن فى قدرتها هذه .

سأله (رمزى) :

- حل ماذا يا (نور) ؟!

أجابه فى سرعة :

- إيجاد وسيلة الاتصال بين العالمين ، أو العثور على وسيلة أخرى لإعادة فتح تلك الفجوة البعدية ، بعد أن نسفت أنت تلك العصا السحرية يا (رمزى) .

ثم تحرَّك فى الحجرة ، وهو يتابع فى انفعال :

- لهذا قاتل أحدهم ، عبر جسد جندى الصاعقة ، ليجلب الخزانة لـ (نشوى) ، بعد أن فقدتها مع ذلك الانفجار فى الفيلا ، وليدافع عن (أكرم) و(رمزى) فيما بعد ، عندما أدرك أنهما وسيلة حمايتها ، من كل ما يحيط بها .. حتى ذلك الظل الهائل الذى اخترق جسدها ، فى غفلة منا ، اتخذ قراره بالتخلَّى عن موقعه المتميِّز ، فقط ليمنحنا فرصة الفرار ، حفاظًا على حياتها وحياتنا .

قال (أكرم) متوترًا :

- ألا يضعهم هذا فى خانة الأصدقاء ؟!

أجابه (نور) فى حدة :

- كلا بالتأكيد ، ما دمنا لا نعلم بعد هدفهم من إعادة فتح الفجوة .

قالت (سلوى) :

- ربما يحاولون العودة إلى عالمهم فحسب يا (نور) .

أجاب فى سرعة :

- لماذا أتوا إلينا إذن ؟!

قالت ملوِّحة بيدها :

- من خلال ذلك الانفجار ، الذى فتح الفجوة بين العالمين بالمصادفة البحتة ، و ...

قاطعها فى حزم :

- لا تنسبى ما حدث إلى المصادفة .

تطلَّع إليه الجميع فى دهشة ، وهتف (رمزى) ، وهو ينهض من مكانه فى انفعال :

- ما الذى تشير إليه يا (نور) ؟!

أجابه فى صرامة :

- ما حدث لا يمكن أن يكون محض مصادفة .

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

- المصادفات العلمية أمر وارد يا (نور) وله سوابق تاريخية معروفة ، فبعض تلك المصادفات غيرَّت مسار العلم كله(*) .

(*) سيتم (بإذن الله) نشر موضوع كامل عن المصادفات العلمية ، وتأثيرها فى تطوّر العلم ، تحت عنوان (بالصدفة) ، فى أحد كتب (كوكتيل ٢٠٠٠) القادمة .

أجابه (نور) :

- بالتأكيد ، وكل من يرتبط بالعلم ، بشكل أو آخر ، يدرك جيدًا أهمية تلك المصادفات العلمية ، ويعلم أيضًا أن تلك المصادفات يمكن أن تقودنا إلى مبادئ نظرية جديدة ، أو إنجاز علمى غير متوقَّع ، ولكنها لا تصنع أبدًا منظومة متكاملة على نحو كهذا .. تمامًا كما يحدث عندما نجد أحرف طباعة مصفوفة على الأرض ، لتصنع بيت شعر موزونًا .. لا يمكننا عندئذ أن ندّعى أن هذا قد حدث بالمصادفة ، عندما ألقى عامل المطبعة تلك الأحرف عشوائيًا .. ربما يكون هذا مقبولاً ، إذا ما تكوَّنت كلمة ، أو حتى جملة قصيرة ، ولكنه مستحيل تمامًا مع بيت الشعر .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

- وما المنظومة التى تتحدَّث عنها يا (نور) ؟!

أشار (نور) بيديه ، قائلاً :

- إنها واضحة للغاية يا رجل .. الدكتور (وائل) كان يجرى تجارب باهظة التكاليف ، فى منطقة سكنية جديدة ، وكانت لديه كل التكنولوجيا اللازمة لهذا ، وهذا يعنى حتمًا أنه هناك من يموِّل أبحاثه وتجاربه ،

وذلك المموِّل يدرك بالطبع ماهية تلك الأبحاث والتجارب .. بل ويعلم ما ستقود إليه .. أضيفوا إلى هذا ذلك التوتر الشديد ، الذى أصاب المسئولين فى الإدارة ، ووزارة الدفاع ، إلى الحد الذى دفعهم لفعل كل هذا ، وتجاوز كل القواعد القانونية ، والمنطقية ، وحتى الآدمية .. لقد تجاوزوا كل القوانين ، وكل الأعراف الإنسانية ، وروَّعوا الآمنين ، وأفزعوا المرضى .. بل وحاولوا اغتيالنا أيضًا .. ألا يعنى كل هذا أن الدولة تعلم جيدًا بتجارب الدكتور (وائل) ونتائجها ؟!

تبادل الجميع نظرة مفعمة بكل توتر الدنيا ، و(نور) يتابع :

- إنهم لا يعلمون بتجاربه فحسب ، وإنما يتعاملون معها باعتبارها سرًا رهيبًا من أسرار الكون ، بحيث لا يترددون فى القتل لإخفائه .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تدرس كلمات (نور) ، قبل أن تهتف فجأة :

- نعم .. إنهم يعلمون .

ثم هبَّت واقفة ، ومستطردة فى حماس :

ـ هل لا حظتم موضع فيلا الدكتور (وائل) ؟!
سألها (نور) فى اهتمام :
ـ ماذا عنه ؟!
أشارت بيدها فى سرعة ، فى محاولة لشرح الموقف ، وهى تجيب :
ـ لقد لاحظت هذا منذ البداية ، ولكننى تصوَّرت أنه مجرَّد خداع بصرى ، بسبب تهدُّم الجزء الخلفى من الفيلا واحتراقه .
سألها الدكتور (حجازى) فى لهفة :
ـ وما الذى لاحظته ؟!
أجابت فى انفعال :
ـ كل الفيلات متساوية ومتوازية ، والمسافات بينها متعادلة ، إلا فيلته .. لقد كانت تبعد عن الفيلتين المحيطتين بها بمسافة تزيد عما تبعد به أية فيلا عن الأخرى ، كما أن درجة ميلها تختلف عن درجة ميل الفيلات الأخرى كلها .
انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :
ـ أأنت واثقة من هذا ؟!
أجابته فى حزم :

ـ تمام الثقة .
وتساءل (أكرم) فى حيرة :
ـ حتى لو افترضنا أن هذا صحيح ، فما الذى يمكن أن يعنيه ؟!
أجابه (نور) :
ـ لو أن ملاحظة (سلوى) صحيحة ، فهذا يعنى أن الدكتور (وائل) لم ينتقل إلى فيلته هذه بمحض المصادفة ، وإنما تم إعدادها خصيصًا ، فى هذا الموضع بالذات ، ليمارس فيها عمله ، ويجرى داخلها تجاربه .
ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يضيف فى حزم :
ـ تلك التجارب بالتحديد .
اتسعت عيونهم جميعًا فى ارتياع ، ودارت بينهم نظرة طويلة ، ملؤها الخوف والقلق ، قبل أن ينهض (رمزى) للاطمئنان على زوجته ، ويداه ترتجفان من فرط الانفعال ، ثم يلتفت إلى (نور) ، قائلاً فى عصبية :
ـ فليكن يا (نور) .. سنفترض أن كل استنتاجاتك هذه صحيحة .

أجابه (نور) ، فى هدوء واثق :

- إنها كذلك .

اندفع يقول فى حدة :

- لماذا إذن يطاردنا المسئولون ، بكل هذا العنف والشراسة ، ما داموا يعلمون كل ما يحدث ، ويشرفون عليه منذ البداية ؟!

عاد حاجبا (نور) ينعقدان فى شدة ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- هذا هو السؤال .

وأخذ يتحرك مرة أخرى فى المكان ، متابعًا فى انفعال شديد :

- السؤال الذى يرتبط بالتساؤل ، الذى بدأنا به حوارنا هذا .. لماذا يحدث كل هذا ؟! وما الذى يعنيه ، بالنسبة لطبيعة وهدف تلك الظلال ؟! وصدقونى يا رفاق .. إجابة هذا السؤال هى أشقّ جزء فى الأمر كله ، فلو أن الدولة تعلم ، وتلك الظلال صديقة ، لما تعرّضنا لكل هذا التوتر ، وهذه المطاردة الشرسة العنيفة ، ولو أنها تعلم ، وتدرك أن الظلال شريرة ، تستهدف احتلال الأرض ، لكان من الطبيعى أن تسند

إلينا مهمة مواجهتها ، وأن نصبح المسئولين عن الأمر بصفة كاملة ، خاصة وأننا نمتلك كل المؤهلات والخبرات اللازمة لهذا !! ولما كنا ، بناءً على كل ما سبق ، ندرك جيدًا ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن الدولة لا تجهل أمر هذه الظلال ، وأنها كانت تعلم منذ البداية بتجارب الدكتور (وائل) ، حتى إنها انتقت له بقعة بعينها ، ليقيم فيها ، ويواصل تجاربه تحت إشرافها ، ربما لأن هذه بالذات هى البقعة ، التى يمكن أن يتمَ عندها الاتصال ، أو لأنه من المحتم أن تحاط تلك التجارب بسرية مطلقة ، بحيث يجهل الجميع أمرها ، حتى مسئولى مركز الأبحاث ، أو أيًا كانت الأسباب الأخرى ، إذن فنحن أمام احتمالين ، لا ثالث لهما !

والتقى حاجباه فى صرامة شديدة ، واكتسى صوته بنبرة حازمة للغاية ، وهو يضيف :

- إما أن الدولة تدرك جيدًا مدى خطورة تلك التجارب ، على الوطن والمواطنين ، فتسعى لإخفاء أمرها بأى ثمن ، وإما ..

صمت لحظة ، خفقت خلالها قلوبهم جميعًا ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ وإما أن من أمر بإجراء هذه التجارب ، وأنفق على تمويلها ، وقد فعل هذا دون علم القيادة السياسة ، ويعلم جيِّدًا أن كشف أمرها يعنى كشف أمره ، وضياع مستقبله العسكرى أو السياسى .

ثم عقد ساعديه أمام صدره ، متابعًا :

ـ باختصار يا رفاق ، أصبح الأمر كله يحمل معادلة واحدة ، لا يمكن أن يتساوى طرفاها قط .. إما هم .. أو نحن .

واتسعت العيون فى هلع وارتياع ، أمام تلك الحقيقة المخيفة ..

اتسعت أكثر ...

وأكثر ..

وأكثر ..

★ ★ ★

« سيِّد (أمجد) .. كيف يمكننى الاعتذار عن هذا الخطأ السخيف ؟! »

هتف العقيد (باسل) بالعبارة ، وهو يقفز من سيارته (الجيب) العسكرية ، بعد أن تجاوز بها القبة الكهرومغنطيسية ، من خلال منفذ خاص ، وقد رسم

على شفتيه أكبر ابتسامات الدنيا ، وأكثرها مداهنة ونفاقًا ، فانعقد حاجبا المستشار الأمنى للرئيس ، وهو يقول فى دهشة بالغة :

ـ العقيد (باسل بهجت) ؟! أأنت المسئول عن هذه العملية كلها ؟!

أدى العقيد (باسل) التحية العسكرية ، قائلاً :

ـ فى خدمتك يا سيادة المستشار .

التقى حاجبا (أمجد) ، وهو يقول فى حذر :

ـ كنت أعتقد أن الأخطاء ، التى يكتظ بها ملفك ، تمنعك من الاضطلاع بقيادة عملية كهذه !

اتسعت ابتسامة (باسل) ، وتسلَّل إليها ، على الرغم منه ، شىء من السخرية ، وهو يقول :

ـ فى مثل هذه الظروف ، عندما تتعقَّد الأمور ، وتبلغ حدَّها الأقصى ، لا بد أن يبحث السيِّد وزير الدفاع عن الشخص الكفء ، لمواجهة الموقف كله .

قال (أمجد) فى برود :

ـ وأنت هذا الشخص الكفء .. أليس كذلك ؟!

شدَّ (باسل) قامته ، وهو يقول بلهجة عجيبة ، تحمل نبرة متحدية :

- هذا ما رآه السيِّد وزير الدفاع يا سيادة المستشار .

ثم استدار يشير إلى سيارته ، وهو يستطرد ، محاولاً إدارة دفة الحديث إلى جهة أخرى :

- اعذرنى عندما أطلب منك الانتقال إلى سيارتى المتواضعة ؛ فالجهاز المثبت بها ، يجعلها قادرة على اختراق القبة الكهرومغنطيسية ، المحيطة بالمدينة .

أجابه (أمجد) ، وهو يتجه نحو (الجيب) ، ويشير إلى رجلى الحرس الجمهورى ، المصاحبين له :

- لا بأس .. سنستقل سيارتك ، ولكننى كنت أرغب فى مناقشة أمر هذه القبة الكهرومغنطيسية .

هزَّ (باسل) كتفيه ، وهو يشير إلى سائق سيارته ؛ ليفتح أبوابها للقادمين ، وهو يجيب بنفس اللهجة ، التى تحمل نبرة متحدية :

- لا شأن لى بإطلاق هذه القبة يا سيادة المستشار .. إننا لسنا أصحاب القرار ، فى مثل هذه الأمور الكبيرة .. القادة يقرِّرون ، ونحن ننفذ الأوامر فحسب .

سأله (أمجد) ، وهو يستقل (الجيب) :

- ومن أصدر مثل هذا القرار ؟!

أجابه (باسل) بسؤال متخابث :

- ألم يصدره السيِّد الرئيس ؟!

تطلَّع إليه (أمجد) بنظرة صارمة لبضع لحظات ، قبل أن يسأله :

- ماذا حدث هنا بالضبط أيها العقيد ؟!

هزَّ (باسل) رأسه بأسف مصطنع ، وهو يشير لسائقه بالانطلاق ، مجيبًا :

- مأساة يا سيادة المستشار .. كارثة بكل المقاييس ..

انطلق السائق بالسيارة ، وضغط زرًّا خاصًّا فيها ، فتألَّقت فى شدة ، وهى تخترق القبة الكهرومغنطيسية ، ثم خبا تألقها بعد عبورها ، والعقيد (باسل) يتابع :

- كانت البداية مجرَّد انفجار فى فيلا يقطنها عالم فيزيائى متقاعد ، جاء مصحوبًا بتألُّق غامض ، مما دفع إحدى فرق المخابرات العلمية إلى القدوم إلى هنا لتفقد الأمر .

غمغم (أمجد) ، وهو يستمع إليه فى اهتمام :

- إلى هنا والأمر عادى للغاية ؛ فهذا إجراء قانونى طبيعى .

أشار العقيد (باسل) بيده ، قائلاً :

- وكان يمكن أن ينتهى كذلك ، لولا ما أصاب أفراد ذلك الفريق العلمى .

سأله فى اهتمام :

- وماذا أصابهم ؟!

لوَّح (باسل) بذراعيه هذه المرة ، وهو يجيب :

- الجنون .. شىء ما انطلق مع ذلك الانفجار ، وأثَّر فى عقولهم ، عندما دخلوا إلى تلك الفيلا اللعينة !

سأله (أمجد) فى توتر :

- ماذا تقصد بهذا الجنون ؟!

هتف العقيد :

- كل شىء .. لقد انطلقوا يعيثون فى المدينة فسادًا .. أطلقوا أشعة مسدساتهم على الآمنين والأبرياء ، وأصابوا مرضى وأطباء المستشفى الحكومى بذعر عنيف ، وقتلوا رجلاً وزوجته ، فى فيلا قريبة من الفيلا المصابة ، وأشعلوا النار فى المكان .

امتقع وجه (أمجد) ، وهو يقول :

- إلى هذا الحد .

أجابه (باسل) ، وهو يخفى ابتسامته الساخرة فى أعماقه :

- ألم أقل لك إنه الجنون نفسه ؟!

انعقد حاجبا المستشار الأمنى فى توتر ، وراح يعيد دراسة ما سمعه فى ذهنه ، قبل أن يسأل فى اهتمام قلق :

- أى فريق هذا ، الذى تتحدَّث عنه بالضبط ؟!

أجابه العقيد (باسل) ، وهو يتطلَّع إليه فى اهتمام ، وكأنما يرغب فى معرفة ردود أفعاله :

- للأسف يا سيادة المستشار ! إنه ، طبقًا للمفترض ، أفضل وأشهر فريق علمى لدينا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بلهجة خاصة :

- فريق المقدِّم (نور الدين محمود) .

ارتفع حاجبا (أمجد) ، حتى بلغا نهاية جبهته ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى ارتياع ، وهو يهتف :

- (نور) .. يا إلهى ! هذا مستحيل !

أجابه (باسل) فى حزم :

- بل هذا ما حدث يا سيادة المستشار ، وهذا ما دفع القادة إلى إرسالنا ، وإلى محاصرة المدينة ، لأننا نجهل تمامًا ما أصابهم ، ونسعى لإلقاء القبض عليهم بأى ثمن .

هتف (أمجد) :

ـ أحياء أيها العقيد .. ألقوا القبض عليهم أحياء .

هتف العقيد (باسل) فى حماس مدروس :

ـ بالطبع يا سيادة المستشار .. هذا ما نحرص عليه تمامًا .

ثم استدرك فى سرعة وحذر :

ـ إلا إذا اضطرتنا الظروف لغير هذا .

سأله (أمجد) :

ـ ما الذى تعنيه ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

ـ أعنى أنه من المستحيل أن أطلب من رجالى التضحية بحياتهم ، لمجرَّد الحفاظ على فريق ارتكب عشرات الجرائم بلا رحمة .

أجابه (أمجد) فى صرامة :

ـ اجعلهم يبذلون قصارى جهدهم .

ارتسمت على شفتى العقيد (باسل) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيادة المستشار .. بالتأكيد .

قالها ، واسترخى فى مقعده ، والسيارة تنطلق بهم

نحو الحى الراقى بالمدينة ، وقد وقر فى نفسه أنه قد ربح الجولة الأولى ، فى مواجهته مع المستشار الأمنى لرئيس الجمهورية ..

ربحها بلا منازع ..

★ ★ ★

زفر جندى القوات الخاصة فى توتر بالغ ، وهو يتحرَّك فى حذر ، وسط الأشجار الكثيفة ، فى تلك المنطقة ، القريبة من الحى الراقى بمدينة (السادس من أكتوبر) ، وقال فى عصبية ، وعيناه تفحصان المكان ، عبر منظار خاص للرؤية الليلية :

ـ هذا لا يروق لى أبدًا .

تطلَّع إليه زميله لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ واصل عملك يا رجل .

قال الأوَّل فى حدة :

ـ هل تلقينا كل هذه التدريبات ، لنقتل النساء العزل ، ونطارد الأطفال والصبية ، بعد منتصف الليل ؟!

صمت زميله فى توتر ، ثم قال فى عصبية :

ـ ليس مهمتنا أن نتخذ القرار .

أشار الأوَّل إلى رأسه ، قائلاً :

- ولكن علينا أن نفكّر .

هزّ زميله رأسه فى قوة ، وهو يقول :

- لا يمكنك أن تجيد التفكير ، ما لم تكن لديك كل المعطيات اللازمة .

هتف الأوّل فى حنق :

- أيّة معطيات تلك ، التى يحتاج إليه المرء ، ليدرك صحة أو خطأ مطاردة صبى صغير بغية قتله ، بوساطة اثنين من المحترفين ؟!

توقّف زميله لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

- توقّف عن مناقشة هذا يا رجل .. نفذ ما أُمرتَ به فحسب ، وإلا تعرّضت إلى محاكمة عسكرية .. هل تفهم ؟!

أجابه فى سخط :

- أفهم .

أشار إليه زميله ، قائلاً :

- هيا .. ابحث فى هذا الاتجاه ، وسأذهب أنا للبحث هناك .

غمغم محنقًا :

- فليكن .

قالها ، وراح يشقّ طريقه وسط الأشجار ، وهو يتمتم :

- لا يمكن أن يكون هذا هو الهدف ، الذى تدرّبنا من أجله .. لا يمكن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعه بغتة صوت بكاء مكتوم ، فانتبهت حواسه كلها ، وتحفّزت ، واتجه إلى مصدر الصوت فى حذر ، و ....

وفجأة ، لمحه هناك ..

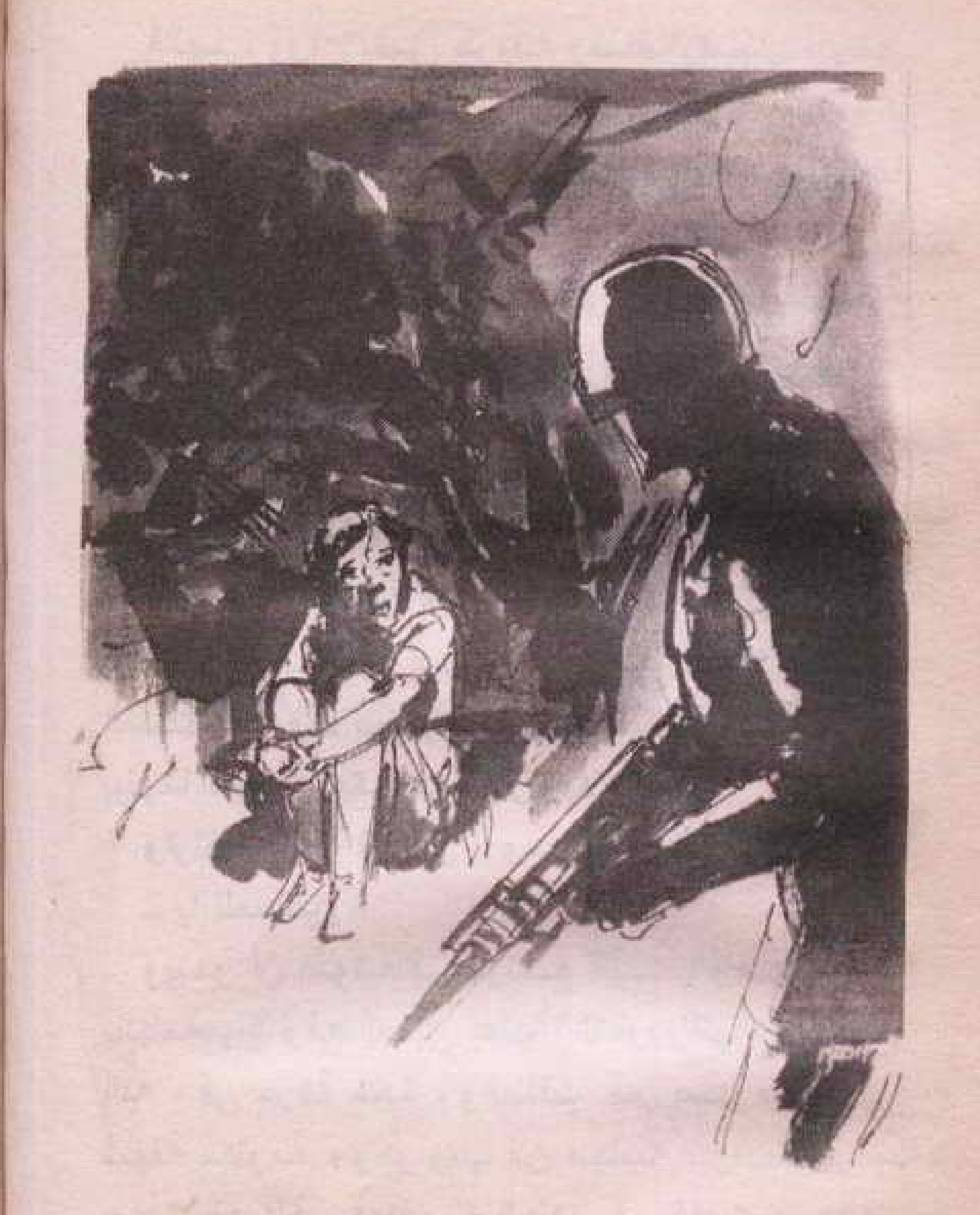
فى بقعة كثيفة الأغصان ..

ومن خلال منظاره الخاص بالرؤية الليلية ، راح يراقب (هيثم) ، الذى جلس وسط الأغصان المتشابكة ، وقد ضمّ ركبتيه إلى صدره ، ودفن وجهه بينهما ، وراح يبكى فى مرارة بلا حدود ..

وارتفع حاجبا الجندى ، وهو يتمتم فى إشفاق :

- يا للمسكين !

ويبدو أن صوته قد ارتفع قليلاً ، وهو يتمتم بالكلمة ، إذ رفع الصبى عينيه المغرورقتين بالدموع إليه ، فى حركة حادة ، وانطلقت من صدره الصغير شهقة مكتومة ، وهو يهب من مجلسه ، والاضطراب يملأ كيانه كله ، فهتف به الجندى فى خفوت :



وارتفع حاجبا الجندى ، وهو يتمتم فى إشفاق :

ـ ياللمسكين !

ـ لا تخف أيها الصبى .. لا تخف .

هتف (هيثم) فى خفوت مماثل :

ـ أنت هنا لتقتلنى .. أليس كذلك ؟!

هزَّ الجندى رأسه نفيًا ، وهو يبتسم فى تعاطف ، مغمغمًا :

ـ لا يمكن أن أوذيك أبدًا .

ثم مال نحوه ، متابعًا :

ـ إننى آدمى ، ولست وحشًا .

انفجر (هيثم) فى البكاء ، وهو يقول :

ـ لقد قتلتم أمى وأبى .

تجمَّعت عيون الدنيا كلها فى عينى رجل القوات الخاصة ، وهو يتمتم :

ـ لست أدرى ماذا أقول أيها الصبى ! صدقنى .. لست أدرى !

عاد (هيثم) يبكى فى مرارة ، وهو يقول :

ـ لقد قتلتم عائلتى كلها .

حاول رجل الصاعقة سجن دموعه فى مقلتيه ، إلا أنها أصرَّت على الفرار ، وانسابت على وجهه فى غزارة ، وهو يراقب الصبى ، قبل أن يقول بصوت أشبه بالنحيب :

- اخفض صوتك يا صغيرى ، حتى لا يسمعك الباقون .

ضمّ (هيثم) شفتيه فى قوة ، إلا أن نحيبه بدا وكأنه ينطلق فى كيانه كله ، و ...

وفجأة ، برز جندى الصاعقة الثانى ..

برز دون مقدمات ، وهو يحمل مدفعه ، ويصوّبه إلى الصبى ، على نحو صارم حازم ، مما جعل زميله يطلق شهقة قوية ، فى حين تجمّدت دموع (هيثم) فى عينيه ، وتراجع فى رعب ، حتى التصق بجذع شجرة كبيرة ، والجندى الأوّل يهتف :

- رباه ! إنه مجرّد صبى .

التفت إليه زميله بحركة صارمة ، وتطلّع إليه لحظة ، قبل أن يقول بلهجة جافة :

- أى صبى ؟!

حدّق فيه الأوّل بدهشة ، وتمتم ، وهو يشير إلى (هيثم) ، الذى بلغ منه الرعب مبلغه ، وتصوّر أنه ملاق حتفه لا ريب :

- الصبى .. هذا الـ ...

قاطعه زميله بنفس الصرامة ، وهو يشيح بوجهه إلى الاتجاه الآخر :

- لست أرى أية صبية هنا .

ارتفع حاجبا الأوّل عن آخرهما ، وارتجفت شفتاه فى توتر ، قبل أن تتجمّع الدموع مرة أخرى فى عينيه ، ويربّت على كتف زميله ، قائلاً :

- كنت أعلم أنك لن تفعلها ..

أزاح زميله يده عن كتفه ، وقال فى خشونة ، محاولاً إخفاء رغبته فى مشاركته دموعه :

- لن أفعل ماذا ؟! كف عن ترديد عباراتك غير المفهومة هذه ، ودعنا نكمل بحثنا عن ذلك الصبى ، الذى لا يمكن أن يختبئ هنا .. هيا .

لم يصدّق (هيثم) أذنيه ، وهو يسمع هذا ، واتسعت عيناه فى توتر وحيرة ، إلا أن الجندى الأوّل التفت إليه بابتسامة حنون ، وغمز بعينه ، قائلاً :

- بالتأكيد .. لا يمكن أن يختبئ هنا أبدًا ..

قالها ، ولوّح بكفه للصبى ، ثم ابتعد مع زميله ، وسرعان ما غابا وسط الأشجار الكثيفة ، فاتسعت عينا (هيثم) أكثر وأكثر ، ثم لم يلبث جسده أن تراخى ، وهو يتمتم :

- حمدًا لك يا ربى .. حمدًا لك وشكرًا .

ثم عاد يجلس عند جذع الشجرة ، ويطلق لدموعه العنان ، وهو يتابع :

- ربما لم تكونا والدىَّ الحقيقيين ، ولكننى أحببتكما كثيرًا ، ولا يمكننى تصوُّر الحياة بدونكما ..

وتفجَّرت الدموع من عينيه فى غزارة ، وهو يهتف :

- ربَّاه ! كم أفتقدكما .. كم أفتقدكما !

خُيِّل إليه بغتة أنه يلمح ظل رجل الصاعقة ، الذى عاد إليه ، فرفع عينيه إلى ذلك الموضع ، الذى كان يحتلَّه منذ لحظات ، و ...

وانتفض جسده كله فى رعب هائل ..

لقد كان ما لمحه ظلاًّ بالفعل ..

ولكنه ليس ظلَّ ذلك الجندى !

لقد كان ظلاًّ هائلاً ، ضخمًا ، يكاد يبلغ حجم الشجرة الكبيرة ..

واتسعت عينا (هيثم) عن آخرهما ، وهم بإطلاق صرخة هائلة ..

ولكن الظلَّ الضخم انقضَّ بغتة ..

وشهق الصبى ، وراح يضرب الهواء بقبضتيه الصغيرتين ، وهو يشعر بعمود من النار ، يخترق مؤخرة عنقه ..

ثم انتهت مقاومته دفعةً واحدةً ..

وعاد الصمت والسكون يلفَّان منطقة الأشجار الكثيفة ..

بلا حدود .

★ ★ ★



٧- الرعب ..

فجأة ، انتفضت (نشوى) فى عنف ، وهبَّت جالسة ، على تلك المائدة الرخامية ، وهى تطلق صرخة مذعورة ، فأسرعت إليها أمها ، واحتوتها بين ذراعيها ، مغمغمة فى لوعة :

- رويدك يا ابنتى .. رويدك .. كل شىء على ما يرام .

شعرت بجسدها يرتجف بين ذراعيها ، وهى تتساءل :

- ماذا حدث ؟! أين نحن ؟!

ربَّت زوجها (رمزى) على كتفها ، قائلاً فى حنان :

- اهدئى يا حبيبتى .. إنك بخير .. لقد انتهى كل شىء .

التفت إليه ، تسأله مذعورة :

- ما الذى انتهى ؟! وأين نحن .

أجابها (نور) مشفقًا :

- نحن فى مكان آمن ، فى الوقت الحالى يا (نشوى) .. لا أحد ، ولا شىء يمكن أن يمسّك بسوء الآن .

حدَّقت فى وجهه بارتياع عجيب ، ثم مدَّت يدها ، تتحسَّس مؤخرة عنقها ، قبل أن تهتف :

- رباه ! إنه هنا إنه ما زال هنا .

أمسك الدكتور (حجازى) يدها ، قائلاً :

- العلامة وحدها هنا يا (نشوى) ، أما ذلك الـ... الشىء ، فقد خرج من جسدك ، ولم يعد إليه ثانية .

اتسعت عيناها على نحو مخيف ، وهى تردِّد :

- خرج ؟!

ربَّت (نور) عليها فى حنان ، قائلاً :

- نعم يا بنيتى .. خرج .

وفى هدوء واختصار ، شرح لها ما فعله ذلك الظلَ الضخم ، الذى خرج من مؤخرة عنقها ؛ ليؤمِّن لهم طريق الفرار ، واستمعت هى إليه فى ارتياع ذاهل ، قبل أن تتحسَّس مؤخرة عنقها مرة أخرى ، مغمغمة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

ثم هزَّت رأسها فى قوة ، مستطردة :

- ولكننى لست أذكر لحظة واحدة من هذا .

أجابها (رمزى) :

- هذا أمر طبيعى ، فلم يكن ذهنك ملكك عندئذ .

وابتسم (نور) ، قائلا :

- المهم الآن أن تستردى قوتك وصفاء ذهنك ؛ لأن الفريق يحتاج إلى خبراتك ومهاراتك بشدة .

اعتدلت فى مجلسها ، فوق المنضدة الرخامية ، وهى تقول فى حماس :

لست أشعر بأية آلام ، أو أى نوع من الضعف ، وذهنى صافٍ والحمد لله ، بعد أن زايلنى الخوف والارتياع .. هيا .. أخبرنى يا أبى .. بم يمكن أن أفيدكم .

أجابها (نور) :

- نحتاج إليك كخبيرة كمبيوتر .

بدا عليها الأسف ، وهى تقول :

- وما الذى يمكن أن أفعله ؟! لقد فقدت جهاز الكمبيوتر النقال الخاص بى ، ولا توجد أجهزة كمبيوتر قريبة ، كما أن قطع الاتصالات السلكية واللاسلكية ، يجعل محاولة الاتصال بمراكز وشبكات المعلومات أمرًا مستحيلاً .

مدّ يده إليها بتلك الخزانة الإليكترونية ، قائلاً :

- يمكنك البدء بهذه .

هتفت ، مستعيدة حماسها :

- بالتأكيد .

ثم التقطت الخزانة من يده ، وراحت تعيد فحصها فى اهتمام ، قائلة :

- إننا نحتاج أولاً إلى تجاوز شفرة الرتاج الإليكترونى ، مع مراعاة كل خطوة بمنتهى الدقة ، حتى لا يتم إتلاف محتويات الخزانة ، مع المحاولة الفاشلة الثالثة ، طبقًا لبرنامجها الأمنى .

غمغم (أكرم) ، وهو يستند إلى مدفعه الليزرى :

- ما زال هذا يحتاج إلى كمبيوتر جيد .

رفعت عينيها إليه ، قائلة :

- بالتأكيد .

وانعقد حاجباها لحظة ، قبل أن تضيف فى حماس :

- ولكننا سنجد واحدًا حتمًا ، فى قسم الحسابات هنا .

قفز (أكرم) من مكانه ، وهو يهتف :

- بالتأكيد يا (نشوى) .. سأبحث عنه ، وأحضره إلى هنا ، حتى ولو اضطررت إلى مواجهة الـ ...

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ ربما لا نحتاج إلى كل هذا .

سأله (أكرم) فى حدة :

ـ وكيف هذا ؟! هل ستحل شفرة كهذه بعقلها وحده ؟!

أجابه (نور) بنفس الهدوء :

ـ ربما لا نحتاج إلى حلها على الإطلاق .

تطلع إليه الجميع فى حيرة ، وتساءلت (نشوى) :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط يا أبى ؟!

أشار بيده ، مجيبًا :

ـ جندى الصاعقة ، الذى أعاد إليك هذه الخزانة الإليكترونية ، لم يكتف بهذا ، وإنما ذكر لك أيضًا قائمة محدودة من الأرقام والحروف ..

ألف ستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو .. ياء .

هتفت فى حماس :

ـ رباه ! أنت على حق يا أبى .. إنها شفرة الخزانة بالتأكيد .

ارتفع حاجبا (سلوى) فى دهشة ، وهى تقول :

ـ عجبًا ! كيف لم ننتبه إلى هذا ؟!

أجابها (رمزى) مبتسمًا :

ـ وماذا كان (نور) سيفعل ، لو أننا انتبهنا لكل شىء ؟

قال (أكرم) :

ـ كان سينتبه إلى أمور أكثر تعقيدًا .

واكتفى الدكتور (حجازى) بابتسامة هادئة ، فى حين قفزت (نشوى) إلى الأرض ، ووضعت خزانة الأسطوانات الإليكترونية الصغيرة على المائدة الرخامية ، ثم انحنت تضغط الأزرار الرفيعة لرتاجها الرقمى فى حرص ..

ألف ستة وخمسون ..

مائة وعشرة ..

واو ..

ياء ..

« محاولة خاطئة تمامًا .. »

انبعث ذلك الصوت الخافت الآلى ، من الخزانة ، معلنًا فشل المحاولة ، فانعقد حاجبا (نور) فى توتر ، وارتفعت حواجب الآخرين فى دهشة ، فى حين هتف (أكرم) :

ـ مستحيل !

وإثر هتافه ، قالت (نشوى) :

- رباه ! إنها ليست شفرة الرتاج الرقمى للخزانة !! لقد خسرنا واحدة من المحاولات الثلاث .

قالت (سلوى) فى حيرة :

- ولكن ما معنى تلك الأرقام والحروف إذن ؟!

تمتم (نور) ، وهو يفكر فى عمق :

- ما زالت تبدو لى أشبه بالشفرة .

تساءل الدكتور (حجازى) :

- شفرة ماذا ؟!

تردَّد سؤاله فى المكان ، دون أن يجيبه أحدهم ، وبدت عليهم جميعًا الحيرة ، حتى قال (أكرم) فى تردُّد :

- ربما كانت شفرة تشغيل الأسطوانات نفسها .

التفتوا إليه جميعًا فى آن واحد ، وحدَّقوا فيه بدهشة كبيرة ، فارتبك متمتمًا :

- كان مجرَّد رأى .

هتفت (نشوى) فى حماس :

- رأى عبقرى .

ارتفع حاجباه إلى أقصى حد ، وهو يقول :

- حقًا ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- أنت عبقرى بالفعل يا صديقى .. هذا هو التفسير المنطقى الوحيد لتلك الشفرة .

قال (أكرم) فى دهشة :

- أنا ؟! أنا عبقرى ؟!

ثم اتسعت ابتسامته ، ولوَّح بيده فى زهو ، مستطردًا :

- كان ينبغى أن تدركوا هذا منذ البداية .

هتفت (نشوى) مجاملة :

- بالتأكيد .

وعاد صوتها يكتسب نبرة قلقة ، وهى تقول :

- ولكن هذا سيعنى أننا مازلنا نحتاج إلى جهاز كمبيوتر .

رفع الدكتور (حجازى) سبَّابته ، ليقول شيئًا ما ، ثم لم يلبث أن أعادها إلى جواره فى تردُّد ، فسأله (نور) :

- ماذا لديك يا دكتور (حجازى) ؟!

تردَّد الطبيب الشرعى لحظة أخرى ، قبل أن يقول :

- الواقع أن لدى جهاز كمبيوتر صغيرًا .

هتفت (نشوى) :

- حقًا ؟!

هزَّ كتفيه ، مجيبًا فى حرج :

- إنه ليس جهازًا حديثًا ، ولكننى استخدمه منذ عدة سنوات ، فى تسجيل ملاحظاتى الخاصة ، على كل عملية فحص ، و ...

قاطعته (نشوى) :

- لا بأس .. إنه يكفى .

ارتسمت على شفتيه ابتسامة مرتبكة ، وهو يقول :

- إنه من الطراز الصغير جدًّا ، وليس به برنامج لحل الشفرة(*) .

لوَّحت بيدها ، قائلة :

(*) أجهزة الكمبيوتر الصغيرة ، المعروفة باسم (كمبيوتر الجيب) ، تم طرحها لأوّل مرة عام ١٩٩٦م ، عبر شركة (توشيبا) (Toshiba) ، التى طرحت جهازًا ذا شاشة ملوّنة ، بقياس ثلاث بوصات ، وبطول ٢١سم ، وعرض ١١سم ، وسمك ثلاثة سنتميترات ، ويتم تشغيله ببرنامج (windows) خاص يعرف باسم (windows CE.2) ، وبه سواقة أقراص لينة ، وقرص صلب بسعة ٧٥٠ ميجابايت ، وهذا الكمبيوتر يحمل اسم (ليبريتو) .

- وما فائدتنا نحن الخبراء إذن ؟! الفارق الجوهرى بيننا ، وبين أى مستخدم عادى ، هو أننا نستطيع انجاز كل شىء ، دون الحاجة لإمكانيات متطوِّرة ، وباستطاعتنا صنع ما نحتاج إليه .

سألها مبهورًا :

- هل تعنين أنه باستطاعتك صنع برنامج حل شفرة ، باستخدام ذلك الكمبيوتر الصغير ؟!

هتفت فى حماس :

- بالتأكيد .

ارتفع حاجباه فى إعجاب مبهور ، وهو يقول :

- عظيم .. سأحضره من حقيبتى إذن .

سأله (نور) :

- وأين حقيبتك ؟!

أجابه ، مشيرًا بيده :

- فى صالة التشريح ، حيث كنت أؤدى عملى .

قال (نور) ، وهو يحمل مدفعه الآلى :

- دعنى أرافقك إذن .

ثم أشار إلى (رمزى) ، مستطردًا :

- ابق أنت لرعاية (سلوى) و(نشوى) ، أما

أنت يا (أكرم) ، فاذهب لتفقُّد المخرج الخلفى ، وتأكد من أن رجال الصاعقة لم يعودوا إلى هنا .

أجابه (أكرم) فى حسم ، وهو يحمل مدفعه ، ويتجه إلى الممر الخارجى :

- بكل تأكيد .

وفى حرص حذر ، راح (نور) والدكتور (حجازى) يتحركان عبر الممر ، الذى يربط حجرات الموتى بصالة التشريح ، حتى بلغاها أخيرًا ، فانعقد حاجبا الدكتور (حجازى) ، وهو يحدِّق فيها ، قائلاً :

- يا إلهى ! لقد اختفت !

هتف (نور) فى انزعاج :

- الحقيبة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) :

- بل جثة ذلك الضابط المسكين .

ثم هزَّ رأسه ، مكملاً فى أسى :

- لقد تلقىَ عشرات من خيوط الأشعة ، من مدفع ذلك الجندى ، وتصوَّر الجميع أنه قد لقى مصرعه ، ولكنه كان على قيد الحياة ، حتى خرج ذلك الظل من جسده ، فانهار كيانه ، ولقى ربه على الفور .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- حى .. الضابط كان حيًا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يلتقط حقيبته :

- بالتأكيد يا (نور) .. أنا واثق من هذا ، فقد كانت جراحه تنزف ، وهذا لا يحدث إلا إذا ..

قاطعه (نور) ، وهو يمسك يده فى قوة ، قائلاً :

- هذا يعنى أنهم يتعلمون .

حدَّق فى وجهه بدهشة ، مغمغمًا :

- يتعلمون ؟! ماذا تعنى يا (نور) ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

- الظلال .. إنها تتطوَّر وتتعلَّم .. ألم تنتبه إلى هذا ؟! فى البداية كانت تحتل الأجساد ، وتفرض عليها نوعًا من التحريك الميكانيكى ، دون أن تستغل حواسها الأخرى .. لذا كان هؤلاء ، الذين يتم احتلال أجسادهم يتحركون بلا مشاعر أو كلمات فى البداية ، ثم تطوَّر الأمر ، واستطاع الجندى أن يتكلَّم ، وكذلك الضابط .. وكلاهما كان على قيد الحياة ، عندما فعل هذا .

حدَّق الدكتور (حجازى) فى وجهه مرة أخرى ، قبل أن يقول فى حذر :

- (نور) .. مازلت لا أفهم ما ترمى إليه .

أجابه (نور) ، وكأنه يتحدَّث إلى نفسه :

- تلك الظلال لم تأت إلى عالمنا من قبل ، ولا خبرة لها بأجسادنا ، ولهذا بدأت تتعامل مع البشر بخشونة وعنف ، مما أدَّى إلى مصرع كل من حاولوا احتلال جسده فى البداية ، ومن المؤكد أن هذا كان يجشمهم مشاق ضخمة ، لتحريك أجساد ميتة ، فقدت الروح والحيوية .. لا ريب فى أنها تسيطر على العضلات عندئذ ، وليس على الأعصاب ، على الرغم من ذلك الالتهاب العصبى ، الذى توصَّلت إليه ، إذ إنه لا فائدة من التعامل مع أعصاب جسد ميت .. إنها كانت تدفع العضلات على الانقباض ، بحيث تؤمِّن الحركة الآلية فحسب ، ولكن مع مرور الوقت ، بدأت تتكوَّن لديها خبرات أكبر ، فى التعامل مع أجساد البشر ، وهنا لم تعد هناك حاجة للجهد البالغ .. يكفى أن تخترق الأجساد ، وتسيطر على العقول .. ومع هذا التطوَّر ، أصبح بإمكانها دفع تلك الأجساد للتحرُّك بصورة أفضل ، وللتحدُّث أيضًا ، ثم إنها كشفت حتمًا أن الأجساد الحية أكثر استقرارًا ، نظرًا للتغيرات الرمية ، التى

تصيب الأجساد الميتة ، والتى جعلتك تحدِّد موعد وفاة ذلك الشخص ، الذى صدمه المهندس (شريف) بسيَّارته .

سأله الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- وماذا عن ذلك الظلّ ، الذى احتلّ جسد (نشوى) ؟! لقد بدت لى طوال الوقت طبيعية للغاية .

أجابه (نور) ، فى سرعة وانفعال :

- ذلك الظلّ بالذات يختلف عن الآخرين .. لقد رأينا جميعًا كم هو ضخم هائل مهيب ، ومن الواضح أنه لم يرغب قط فى السيطرة على عقل (نشوى) وجسدها ، كما يسيطر الآخرون على الأجساد البشرية .. ربما لأن الفائدة المرجوَّة منها لن تتحقق ، إلا لو ظلّ عقلها حرًّا متألّقًا ، على عكس الآخرين ، الذين كان كل الهدف من اختراق أجسادهم هو دراسة تلك الأجساد ، وما يصيبها مع المؤثرات المختلفة ، كما حدث فى حالة المهندس (ناجى) ، وحالة سائق السيارة ، الذى اخترق حاجز التفتيش ، وظلّ يحترق حتى الموت ، أو تنفيذ مهام محدودة ، كما فى حالة جندى الصاعقة وضابط الشرطة .

هتف الدكتور (حجازى) مبهورًا :

ـ يا إلهى ! إنك محلل عبقرى يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ ليس هذا هو المهم الآن يا دكتور (حجازى) .. المهم أن ما حدث يؤكد أن تلك الظلال لم تأت إلى عالمنا من قبل ، وهذا يدفعنا إلى نفس ذلك التساؤل ، الذى لم أجد له جوابًا بعد .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ لماذا هذه الحرب الطاحنة ؟! ولماذا توحى تصرفات قادتنا بأنهم يعرفون كل تلك الظلال ، و ...

بتر عبارته بغتة ، مع نظرة الرعب الهائلة ، التى أطلت من عينى الدكتور (حجازى) وهو يحدق فى نقطة ما خلفه ، فاستدار إليها فى سرعة كبيرة ، و ...

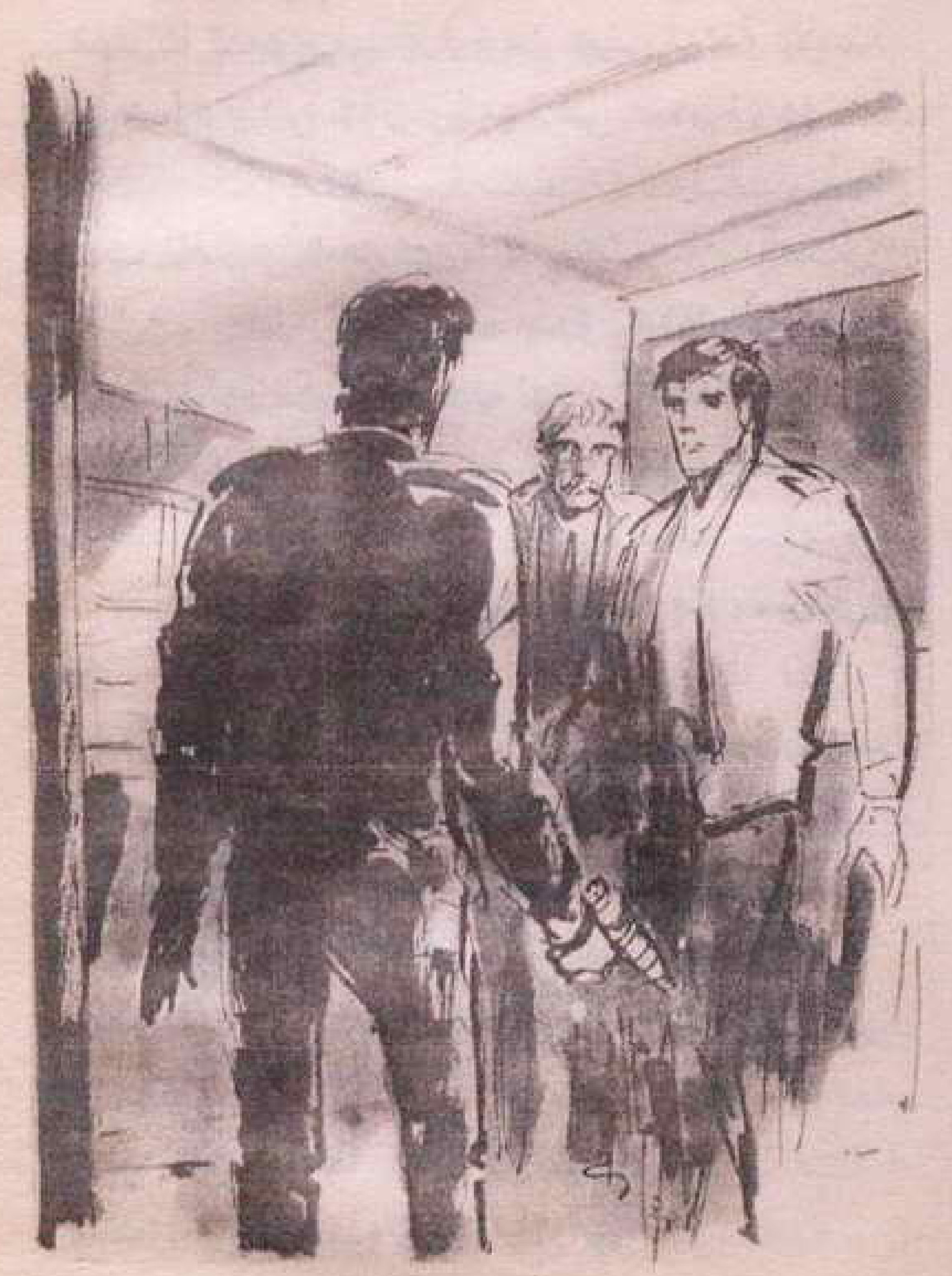
وتجمد جسده كله دفعة واحدة ..

فأمامه مباشرة ، وعلى مسافة أقل من متر واحد ، كان ذلك الضابط يقف ، عند باب صالة التشريح ، ممسكًا مسدسه ، وفى عينيه نظرة رهيبة ..

نظرة تطل من خلف ذلك الوهج الأحمر ..

الوهج المخيف ..

★ ★ ★



وعلى مسافة أقل من متر واحد ، كان ذلك الضابط يقف

انهمرت الدموع فى غزارة من عينى زوجة الأستاذ (حسن) ، وهى تدفن وجهها فى صدر زوجها ، هاتفة :

- يا للصبى المسكين ! لا يمكننى أن اتصوَّر ما أصابه .. هل رأيت كيف أحرق هؤلاء الوحوش منزله ؟ يا لهم من أوغاد ! يا لهم من قساة !

ضمَّها زوجها إليه فى حنان ، وهو يغمغم فى مرارة :

- سيدفعون الثمن .. من المؤكَّد أنهم سيدفعون الثمن .

زمجر جندى القوات الخاصة ، الذى يصوِّب إليهم مدفعه ، داخل المنزل ، وقال فى صرامة :

- لا تتحدَّثا فى مثل هذه الأمور .

قالت (مشيرة) فى حدة :

- ألم يكفكم ما فعلتموه ؟! اتركهم يتحدثون على الأقل .

تردَّد الجندى لحظة ، قبل أن يقول :

- ليس فى مثل هذه الأمور .

صاحت به محنقة :

- وما الفارق بينها وبين أية أمور أخرى ؟! إنهما يتحدثان فحسب ، بعد أن فرضتم حظر التجوال ، وأشعتم الخوف والرعب فى الحى كله ، وقتلتم الأبرياء والعزل .. إننى أشعر بالعار لكل ما فعلتموه ، حتى إننى تمنيت لو كنتم جنود جيش احتلال ، وليس جنود جيشنا .. ربما منحكم هذا بعض المبرِّرات الواهية على الأقل .

ارتجفت شفتا الجندى ، وانخفضت فوهة مدفعه الليزرى قليلاً ، وهو يغمغم :

- إننا ننفذ أوامر قائدنا يا سيِّدتى .

هتفت :

- دون أى تفكير ؟!

أجابها ، وصوته يحمل رنة أسى :

- هذا ما تدرَّبنا عليه يا سيِّدتى .. الجندى عليه أن يطيع أوامر قادته ، دون اعتراض أو تساؤل .. إنهم يعلمون ، ونحن لا نعلم .

قالت فى مرارة :

- الخطأ والصواب واضحان يا رجل .

هزَّ رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- مطلقًا يا سيدتى .. فى الحروب قد يبدو لك أمر ما هادئًا جميلًا ، ثم يباغتك بهجوم شرس قاتل .. الحرب خدعة ، والقادة وحدهم يمكنهم فهم ما يحدث ؛ لأن لديهم كل المعلومات والمعطيات ، ولو أصرَّ كل منا على معرفة الأسباب ، لانهار الجيش كله فى لحظات .

قالت زوجة الأستاذ (حسن) فى حدة :

- أمن الصواب قتل الأبرياء ؟!

أجابها متوترًا :

- فى عالمنا ، لا يوجد أبرياء يا سيدتى .. قد يطالبنا قائدنا بمطاردة طفلة فى الخامسة من عمرها ، وإطلاق النار عليها بلا رحمة ، وسيبدو لنا هذا قاسيًا وعنيفًا ، وغير آدمى بالتأكيد ، ولكن ماذا لو خالفنا الأوامر ، ورفضنا قتل تلك الطفلة ، ثم فوجئنا بأنها وحش فضائى رهيب ، له القدرة على إعادة تشكيل نفسه ، فى صورة تستدر حناننا وعطفنا .

توقفت زوجة الأستاذ (حسن) عن البكاء ، عندما ألقى جوابه هذا ، واستدارت تتطلع إليه فى دهشة ، تمامًا كما فعلت (مشيرة) ، فى حين ارتفع حاجبا الأستاذ (حسن) نفسه ، وهو يتمتم :

- يا إلهى ! الرجل على حق تمامًا .

كانت (مشيرة) توافقه فى أعماقها على هذا ، إلا أنها كتمت موافقتها هذه فى أعماقها ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها ، وتتجه نحو النافذة ، متمتمة :

- أنا واثقة من أن هذا لا ينطبق على حالتنا هذه .

لوَّح الأستاذ (حسن) بيده ، قائلًا :

- ولِمَ لا ؟! الدكتور (وائل) (رحمه الله) ، قال : « إنهم هنا » والعبارة قد تحتمل الحاضر أو الماضى ، أعنى أنه من المحتمل أنه كان يقصد أنهم هنا منذ فترة ما ، يعيشون بيننا ، ويحملون هيئتنا .

أشارت إلى عينيها ، قائلة فى حنق :

- وماذا عن العيون المشتعلة ؟! هل رأيتم جارًا بعيون مشتعلة من قبل ؟! هل ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تتطلع عبر النافذة ، إلى منزل (هيثم) المحترق ، المجاور لفيلا الدكتور (وائل) مباشرة ..

فهناك ، أمام المنزل ، الذى ما زالت بقاياه تبعث الكثير من الدخان ، كانت تقف سيارة العقيد (باسل) العسكرية ، وعلى مسافة أمتار ثلاثة منها ، وقف هذا

الأخير يشير إلى بقايا المنزل المحترق ، ويتحدث فى اهتمام إلى رجل وسيم ، فى منتصف الخمسينات من عمره ، وعلى مقربة منهما وقف اثنان من رجال الحرس الجمهورى بزيهما الرسمى ..

وتوترت كل عضلة فى جسد (مشيرة) ..

صحيح أنها لم تتعرَف ذلك الرجل ، مع الظلام والضوء الخافت ، ولكنها أدركت على الفور أنه شخص مهم للغاية ، وأحد المسئولين فى مؤسسة الرياسة ، وإلا ما جاء فى حراسة اثنين من رجال الحرس الجمهورى ، ولما أولاه وغد مثل (باسل) كل اهتمامه ..

وفى أعماقها ، هتفت :

ـ لا ينبغى أن أضيع فرصة كهذه أبدًا ... لو أن الرياسة قد أرسلت أحد رجالها لتفقد الأمر ، فهذا يعنى أنها لا تعلم كل ما يحدث هنا ... ومن الضرورى أن تعلم .. بل من المحتم أن تفعل .. وليس عبر العقيد (باسل) بالتأكيد .

فى نفس اللحظة ، التى انطلق فيها هذا الهتاف فى أعماقها ، دون أن يتجاوز شفتيها ، كان العقيد (باسل) يتظاهر بمنتهى الأسى ، وهو يقول :

ـ انظر ما فعله (نور) هذا وفريقه أيها المستشار ! قتل وتدمير وإتلاف ممتلكات خاصة ، وترويع وقتل الأبرياء ، وإشاعة الرعب فى حى بأكمله ..

كيف كان من الممكن التصدى لفريق مثلهم ، يمتلك كل إمكانيات المخابرات العلمية ، دون أن يتدخل الجيش .

تطلع (أمجد) فى أسى إلى المنزل المحترق ، وهو يقول فى مرارة :

ـ يا لها من مأساة !

ثم التفت إليه ، متسائلاً :

ـ ولكن التقرير المشترك ، الذى تلقاه سيادة الرئيس ، حول الموقف هنا ، لم يشر من قريب أو بعيد إلى تورط (نور) وفريقه فى الأمر .

أجابه (باسل) فى سرعة وهدوء :

ـ ربما لأن القيادة لم تكن تدرك هذا بعد ، عندما أرسلت تقريرها .

سأله (أمجد) فى اهتمام :

ـ ماذا تعنى ؟!

هزَّ كتفيه ، قائلاً :

- عندما تم إرسالنا إلى هنا ، كانت كل معلوماتنا هى أننا سنواجه اضطرابًا أمنيًا ، يقوم به بعض المحترفين ، بحيث لا تصلح الشرطة العادية لمواجهته ، ولقد فوجئنا مثلك بأمر تورط أشهر فريق علمى فى هذا الأمر .

ومن المؤكد أنه استحق عن جدارة جائزة الأوسكار (*) ، عندما أطلق تلك الزفرة الملتهبة ، المفعمة بالأحاسيس والانفعالات ، وهو يضيف :

- إننى أشعر بالأسف والأسى من أجلهم ، وأثق تمامًا بأنهم لا يفعلون هذا بإرادتهم ، ولكن كيف يمكنك إقناع السكان الأبرياء بهذا .

انعقد حاجبا (أمجد) ، وهو يقول فى صرامة :

- ما زلت أصرّ على بذل كل الجهد ؛ لإلقاء القبض عليهم أحياء .

(*) جائزة الأوسكار : أشهر وأرفع جائزة أكاديمية ، فى عالم السينما ، وهى عبارة عن تمثال صغير من البرونز المطلى بالذهب ، يحصل عليه أفضل العاملين فى الحقل السينمائى ، فى مختلف مجالاته .. التمثيل ، والإخراج ، والتصوير ، والمكياج ، والسيناريو ، إلخ .. إلخ .. والطريف أن التمثال قد حصل على اسمه هذا عام ١٩٣١م ، عندما تم صنعه لأول مرة ؛ لأن إحدى السكرتيرات التنفيذيات قالت : إنه يشبه عمها (أوسكار) .

زفر (باسل) مرة أخرى ، مغمغمًا :

- أتعشّم هذا أيها المستشار .. أتعشّم هذا .

تنهّد (أمجد) بدوره ، وقال :

- لا بد من إبلاغ الرئيس بكل هذا .

هزّ (باسل) رأسه ، قائلًا بأسف مصطنع :

- الاتصالات كلها مقطوعة للأسف ، بسبب الـ ...

قاطعه (أمجد) فى اهتمام :

- بمناسبة الحديث عن الاتصالات .. هل تعتقد أنه هناك علاقة ما ، بين ما حدث هنا ، وما أصاب شبكة الاتصالات الرئيسية الليلة ؟!

لم يكن العقيد (باسل) يدرى شيئًا بالفعل عن الأمر ، لذا فقد باغته السؤال تمامًا ، وجعله يسأل فى حذر :

- وماذا أصابها ؟!

أجابه (أمجد) :

- عطل شامل ، لا مثيل له من قبل ، أصاب الشبكة كلها دفعة واحدة ، بسبب ارتفاع مباغت فى الطاقة ، إلى ضعفى ما يمكن للشبكة الرئيسية احتماله .

قال (باسل) فى حذر ، وقد خُيّل إليه أنها محاولة لاستدراجه إلى فخ ما :

- ولكن أجهزة الاتصال كانت تعمل كلها بكفاءة .

قال (أمجد) ، وهو يتطلع إليه بنظرة فاحصة :

- إصلاح العطب لم يستغرق وقتًا طويلاً ، فقد تم تغيير الكابلات الرئيسية المحترقة ، واستبدال بضعة أمتار من الأسلاك فحسب ، ولكن أحدًا من الخبراء والمهندسين والفنيين لم يمكنه تحديد سبب ما حدث أبدًا ، وإن اتفقوا جميعًا على أن الأسلاك قد نقلت طاقة ضخمة دفعة واحدة .

هزّ (باسل) رأسه نفيًا فى حذر أكثر ، وهو يتمتم :

- صدقنى ، ليست لدى أدنى فكرة .

أومأ (أمجد) برأسه متفهمًا ، وقال :

- بالتأكيد .

ثم استدار إلى (الجيب) ، لتنقله إلى بقعة أخرى ..

وسرت فى جسد (مشيرة) قشعريرة باردة ، عندما لمحت هذا ، وهتفت دون أن تدرى :

- رباه ! إنه سينصرف .

التفت إليها الجميع فى دهشة ، وعاد الجندى يتحفز ، متسائلاً :

- من الذى سينصرف يا سيدتى ؟!

تراجعت بخطوة واسعة ، قائلة :

- ذلك الرجل هناك .. إنه يستعد للانصراف .

مال بجسده نحو النافذة ، وهو يسأل :

- أى رجل ؟!

وثبت فى خفة ، واختطفت تمثالاً من الجبس ، من أحد أرفف الزينة ، ثم اندفعت نحو الجندى ، هاتفة :

- رجل المستحيل !

قالتها ، وهوت على مؤخرة عنقه بالتمثال ، فشهق الرجل ، وزاغت عيناه ، وضربت يداه الهواء ، وكأنه يحاول التشبث بأى شىء ، إلا أنه لم يلبث أن هوى فاقد الوعى ، عند قدمى الأستاذ (حسن) ، الذى هتف مستهجنًا ، وزوجته تكتم صرختها المذعورة :

- هل جننت يا سيدة (مشيرة) ؟!

ألقت التمثال ، وهى تجيب فى توتر :

- بل استعدت عقلى يا رجل .. إننى أتساءل منذ البداية لماذا وضعوا حارسًا خاصًا هنا بالذات ؟ ولكننى أدركت أنهم كانوا يحاولون منعنا من إبلاغ مندوب الرئيس بحقيقة ما حدث هنا .

هتف الأستاذ (حسن) مبهورًا :

- مندوب الرئيس ؟! هنا ؟!

اندفعت نحو الباب ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت محرك (الجيب) ، وهى تهتف فى توتر :

- نعم هنا .. ولا بد لنا من اللحاق به ..

جذبت رتاج الباب فى قوة ، إلا أن الباب كان مغلقًا فى إحكام ، من خارج المنزل ، بوساطة رتاج إليكترونى خاص ، أضافه رجال (باسل) ، فانطلقت تعدو إلى المطبخ ، وأحنقها أن وجدت بابه مغلقًا من الخارج أيضًا ، فى حين التقطت أذناها صوت (الجيب) ، وهى تنطلق ، فهتفت محنقةً :

- لا .. لا تنصرف .. أنت أملنا الأخير .

ثم اختطفت قطعة مطبخية ثقيلة ، وألقتها بكل قوتها على النافذة الخلفية ، التى تحطمت بدوى شديد ، فاندفع الأستاذ (حسن) إلى المطبخ ، هاتفًا :

- لقد جننت حتمًا .

رآها تقفز عبر النافذة الخلفية المكسورة ، ثم تعدو نحو الشارع الرئيسى ، فصاح بها :

- عودى يا سيدة (مشيرة) .

لم تبال بصرخته ، وهى تعدو بكل قوتها ، محاولة اللحاق بـ (الجيب) ، و ...

وفجأة ، برز ذلك الجندى ، وهتف :

- توقفى يا سيدتى .

وما إن أكمل عبارته ، حتى رفع فوهة مدفعه نحوها فى عدوانية ..

وانطلقت أشعة الليزر ..

القاتلة .

* * *



٨- الضـــوء والظـــل ..

ارتفع رنين الهاتف الخاص ، فـى حجـرة القـائد الأعلى للمخابرات العلمية ، فالتفت الدكتور (نـاظم) ووزير الدفاع إليه فى آن واحـد ، وهتف الأخير فى لهفة :

- أهو (باسل) ؟!

التقط القائد الأعلى سمَّاعة الهاتف ، وهو يقول فـى توتر :

- إنه اتصال داخلى .

انعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يغمغم :

- اتصال داخلى ، على هاتف الطوارئ .

وضـع القـائد الأعلـى سمَّاعة الهاتف على أذنــه ، قائلاً :

- ماذا هناك ؟!

اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يستمع إلى محدثّه ، فهتف به وزير الدفاع :

- ماذا هناك ؟!

أنهـى القـائد الأعلـى المحادثـة ، دون أن يجيـب محدثّه ، ورفع عينيه إليهما ، مجيبًا بصوت متحشرج مختنق :

- إنه هنا .

سألاه فى آن واحد :

- من هو ؟!

انطلق أزيز الباب فى تلك اللحظـة ، فنهض القـائد الأعلى ، قائلاً فى خفوت :

- الرئيس !!

اتسعت عيون الرجلين هلعًا ، واستدارا فى آن واحد إلى الباب ، الذى انفتح فى نعومة ، وظهر على عتبته رئيس الجمهورية ، الذى وقف يعقد كفيه خلف ظهـره فى حزم ، ويقول :

- ترُى هل أدهشتكم زيارتى المفاجئة ، أم أن رجال الأمن قد أبلغوكم أننى فى طريقى إلى هنا ؟!

هتف القائد الأعلى :

- أنت على الرحب والسعة دائمًا يا سيادة الرئيس .

دلف الرئيس إلى المكان ، وهو يقول :

- المفترض ، طبقًا للدستور والقانون ، أننى الشخص الوحيد ، المسموح له بالوصول إلى هنا فى أى وقت ، ودون موعد سابق ، باعتبار هذا الجهاز ، مثله مثل جهازى المخابرات العامة والحربية ، تتبع كلها لى مباشرة .

قال وزير الدفاع ، محاولاً رسم ابتسامة على شفتيه :

- بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

توقف فى منتصف الحجرة ، وأدار بصره فى وجوه ثلاثتهم ، قبل أن يقول :

- القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، ووزير الدفاع ، ورئيس مركز الأبحاث العلمية .. ترى لماذا يقضى قادة مثلكم كل هذا الوقت هنا ؟!

حاول القائد الأعلى أن يقول شيئًا ، إلا أن الكلمات احتبست فى حلقه ، وغمغم الدكتور (ناظم) فى صعوبة :

- الواقع يا سيادة الرئيس أنه ...

وهنا قاطعه وزير الدفاع ، وهو يقول فى هدوء :

- لقد كنا نحاول دراسة الموقف يا سيادة الرئيس .

رفع الرئيس حاجبيه ، قائلاً :

- آه .. موقف مدينة (السادس من أكتوبر) .. ذلك الذى أرسلتم بشأنه تقريركم المشترك المضحك .

ثم جلس على أقرب مقعد إليه ، متابعًا فى صرامة :

- كيف يحدث كل هذا ، وتقريركم يشير إلى أنكم تجهلون طبيعة الأمر ؟!

أجابه القائد الأعلى فى بطء :

- هذا ما دفعنا لاتخاذ كل هذه الإجراءات يا سيادة الرئيس ، فنحن نجهل ما يحدث بالضبط هناك ، ولكننا واثقون من أنه أمر بالغ الخطورة ، لذا ...

قاطعه الرئيس :

- ومن أين أتت هذه الثقة ؟!

أسرع وزير الدفاع يجيب :

- ما أصاب فريق (نور) العلمى يا سيادة الرئيس ؟!

توتر القائد الأعلى بشدة ، وتبادل نظرة عصبية مع الدكتور (ناظم) ، فى نفس الوقت الذى سأله فيه الرئيس ، فى قلق بالغ :

- وما الذى أصاب (نور) وفريقه ؟!

لوّح الوزير بيده ، قائلاً :

- اضطراب عقلى عنيف يا سيادة الرئيس .. ذهبوا

لتفقد انفجار عادى ، فى فيلا عالم طاقة متقاعد ، ثم أصابهم جنون عجيب ، جعلهم يقتلون ويدمرون كل ما حولهم ومن حولهم ، بلا رحمة أو شفقة ، مما دعا قائدهم الأعلى للاستعانة بنا ، فحاصرنا المدينة ، وعزلناها عما حولها ، حتى يمكننا السيطرة على الموقف ، ومعرفة السبب فيما أصابهم .

كان جوابه منطقيًا ، قابلاً للتصديق ، إلا أن ذلك الشحوب ، الذى اعترى القائد الأعلى والدكتور (ناظم) ، جعله يسأل فى صرامة وشك :

- ولماذا لم يتمّ إبلاغى بهذا على الفور ؟!

أجابه القائد الأعلى هذه المرة ، وهو يبذل قصارى جهده ؛ للسيطرة على أعصابه :

- عندما أرسلنا تقريرنا الأوّل ، لم تكن لدينا معطيات كافية عن الأمر .

سأله الرئيس فى حدة :

- والآن ؟!

أشار بيده إشارة مبهمة ، وهو يقول :

- كنا نستعد لإرسال التقرير المشترك الثانى .

صمت الرئيس بضع لحظات ، وهو يرمقهم بنظرة تفيض بالشك ، قبل أن ينهض ، قائلاً فى صرامة :

- فليكن .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يستطرد :

- إنها الثانية والربع صباحًا .. أريد تقريرًا مشتركًا كل ساعة ، حتى ينتهى هذا الموقف ، وأريده مفصلاً ، يحوى كل شىء بمنتهى الدقة ، وموقعًا من ثلاثتكم ، كما أريد كل ما يمكن الحصول عليه من صور وأفلام سينمائية وهولوجرافية ، لما يحدث داخل المدينة .

وزير الدفاع وحده نجح فى رسم ابتسامة على شفتيه ، وهو يقول :

- كما تأمر يا سيادة الرئيس .

مطّ الرئيس شفتيه ، وهو يدير بصره فى وجوههم مرة أخرى ، قبل أن يقول :

- ما الذى اتخذتموه من قرارات ، بشأن (نور) وفريقه ؟!

ارتجفت شفتا القائد الأعلى ، وهم بقول شىء ما ، ولكن الوزير أسرع يقول :

- إننا نبذل قصارى جهدنا للسيطرة عليهم يا سيادة الرئيس .

أجابه الرئيس فى صرامة :

ـ عظيم ، ولكننى أريدهم أحياء .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة مريرة ، ووزير الدفاع يقول :

ـ نحن أيضًا نريدهم أحياء يا سيادة الرئيس ، ولكن ...

قاطعه الرئيس فى صرامة شديدة :

ـ أحياء يا وزير الدفاع ... أحياء .. إننا نمتلك أسلحة دفاعية كثيرة وقوية ، تجعل باستطاعتنا الإيقاع بجيش من الديناصورات ، على قيد الحياة ، ولست أظن (نور) وفريقه أكثر قوة وشراسة ، حتى ولو أصابهم جنون الدنيا كله ..

أليس كذلك ؟!

بذل وزير الدفاع جهدًا خرافيًا ، ليكتم غيظه وغضبه فى أعماقه ، ويحافظ على ظل ابتسامته الباهتة ، وهو يقول :

ـ بلى يا سيادة الرئيس .. بلى .

رمق رئيس الجمهورية ثلاثتهم بنظرة أخرى صارمة ، مفعمة بالشك ، قبل أن يعقد كفيه مرة أخرى خلف ظهره ، ويتجه إلى الباب ، قائلاً :

ـ أريد التقرير التالى على مكتبى بعد ساعة واحدة على الأكثر .

تمتم القائد الأعلى :

ـ بالتأكيد يا سيادة الرئيس .. بالتأكيد .

انفتح الباب آليًا ، فغادر الرئيس المكان ، وترك الباب يغلق خلفه ، وهو يستقل المصعد الخاص ، فى حين ظلّ الثلاثة صامتين ساكنين فى أماكنهم بضع لحظات ، وكأنما يحاولون استيعاب ما حدث ، ثم لم يلبث الدكتور (ناظم) أن غمغم :

ـ إنه يعلم .

التفت إليه الوزير فى حركة حادة ، قائلاً :

ـ بل يشكّ فحسب .

قال القائد الأعلى فى عصبيّة :

إنه فى المرحلة ، التى يسهل فيها الانتقال من الشك إلى اليقين .

أكمل الدكتور (ناظم) :

ـ وعندئذ ستكون النهاية .

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا ينبغى أن نسمح بهذا .

سأله القائد الأعلى فى توتر :
ـ ماذا تعنى ؟!
وهتف الدكتور (ناظم) :
ـ فيم تفكر يا رجل ؟!
ولم يجب الوزير سؤاليهما ..
بل ربما حتى لم يسمعه ..
هذا لأن عقله كان يسبح بعيدًا ..
بعيدًا جدًا ..
كان يعيد النظرة فيما أشار إليه القائد الأعلى ذات مرة ، فى معرض الحديث ..
فى فكرة الانقلاب ..

★ ★ ★

« لقد داروا نصف دورة .. »
نطق أحد رجال الصاعقة بالعبارة ، وهو يفحص آثار سيارة الإسعاف ، فوق ذلك الجزء غير الممهد ، على جانب الطريق ، قبل أن يعتدل ، مشيرًا بيده ، ومستطردًا :
ـ كان ينبغى أن ينطلقوا فى هذا الاتجاه ، لو أرادوا العودة إلى الحى الراقى ، أو إلى الشمال ، لو أنهم سيحاولون الخروج من المدينة .

انعقد حاجبا قائده ، وهو يسأله :
ـ إلى أين يمكن أن تقودهم هذه الالتفافة ؟!
هز رجل الصاعقة رأسه ، قائلاً :
ـ لا يمكن الجزم ، لأن الآثار مبهمة ، على الطريق الممهد ، ولكنهم لم يقصدوا المنطقة الصناعية أو السكنية حتمًا .
استغرق قائد المجموعة فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يقول :
ـ دعونا نبحث عن أية آثار أخرى .
قفزوا إلى سيارتيهما ، اللتين خرجتا عن الطريق الممهد ، وانطلقتا تبحثان عن أية آثار أخرى ، وفى توتر ، غمغم أحد الرجال :
ـ لست أدرى لماذا لا أشعر بالارتياح هذه المرة !
أجابه قائده فى صرامة :
ـ هذا ليس شأننا .. إننا ننفذ الأوامر فحسب .
قال رجل آخر فى توتر شديد :
ـ ولكن هذا الذى نطارده هو القائد (نور) .. بطل التحرير ، والمثل الأعلى لكل منا ، منذ التحقنا بالقوات الخاصة .. كيف يمكن أن نهاجمه ، أو نطلق النار عليه اليوم ؟!

صاح به القائد :

- مهمتك ليست التفكير والتدبير يا رجل .. عليك تنفيذ الأوامر فحسب .

تبادل الرجال نظرة عصبية ، ثم اندفع الثالث يقول :

- لا يمكننى أن أطلق النار على القائد (نور) .. إننى أفضّل الموت .

شعر قائد المجموعة بأنه مقدم على حالة تمرُّد عامة ، فقال فى صرامة :

- القائد (نور) لم يعد هو القائد (نور) الذى نعرفه .

غمغم الأوَّل متبرِّمًا :

- إنه يبدو لى كما عرفته دائمًا .

أجابه قائده فى حزم :

- من الخارج فحسب ، أما من الداخل ، فقد صار عدوًّا .

هتف الثانى :

- لا يمكننى أن أصدِّق أبدًا أن القائد (نور) خائن .. لقد كان بإمكانه ، بعد التحرير مباشرة ، أن يصبح رئيسًا للجمهورية ، أو وزيرًا للدفاع ، أو حتى قائدًا

عامًّا للمخابرات العلمية ، لو أنه فقط أشار إلى رغبته فى هذا ، ولكنه رفض استغلال الموقف ، على الرغم من أنه يستحق بجدارة أى منصب مما سبق ذكره ، وفضَّل العودة إلى وظيفته السابقة ، كضابط فى المخابرات العلمية .. ما الذى يمكن أن يدفع شخصًا كهذا إلى الخيانة ؟!

أجابه قائده فى حزم :

- تلك الظلال .

اتسعت عيون الرجال فى ارتياع ، فتابع قائدهم فى صرامة :

- لقد احتلَّت جسده وأجساد رفاقه ، وتدفعهم دفعًا إلى الخيانة ، وإلى تعريض أمن (مصر) ، وربما الأرض كلها للخطر ، فما الذى ينبغى أن نفعله ، فى مثل هذه الحالة ؟! هل نتركه حيًّا ، لمجرَّد أنه كان يومًا بطلاً قوميًّا ؟! هل نضحى بأمن وسلامة عالمنا كله ، احترامًا لذكرى رجل فقد سيطرته على جسده وعقله ؟! ألم تقتلوا أحد زملائكم بأنفسكم ، عندما سيطرت عليه تلك الظلال ، ودفعته إلى مهاجمتكم بكل شراسة ؟! ألم نكن جميعًا مضطرين لهذا ؟! ما الذى يستثنى المقدَّم (نور) إذن ؟!

تبادل الرجال نظرة عصبية للغايـة ، قبل أن يغمغم أحدهم :

ـ لا شىء .

خيّم عليهم الصمت بعدها لفترة طويلة ، وكل منهـم يراجع كلمات القائد ، ويجترّ مرارته فى حزن وألـم ، حتى هتف الدليل :

ـ هناك آثار أخرى .

توقّفت السيارتان ، وهبط الرجـال ؛ لفحـص تلـك الآثـار ، قبل أن يقـول رجـل الصاعقة ، الذى يتولّـى مهمة الدليل :

ـ لقد بذلوا جهدًا حقيقيًا ، فى محاولة لإخفـاء هـذه الآثـار ، ولكن لـم يكن لديهم الوقـت الكـافى لإتقـان العمل .

سأله قائد المجموعة فى اهتمام :

ـ إلى أين اتجهوا ؟!

اعتدل يتطلّع إلى ما حولـه فى اهتمـام ، قبـل أن يجيب :

ـ إلى الجنوب الشرقى .

تقارب حاجبا قائد المجموعة ، وراح يتطلّع بضع لحظات إلى حيث أشار الدليل ، ثم لم يلبث أن غمغم :

ـ آه .. فهمت .

ثم أشـار إلـى رجالـه ، مستطردًا فى لهجـة آمـرة صارمة :

ـ هيا يا رجال .. سنتجه إلى الهدف مباشرة .

قفز الجميع فى السيارتين ثانية ..

وانطلقت سيارتا (الجيب) تشقان طريقهما ، نحـو الجنوب الشرقى ..

نحو الهدف ..

مباشرة ..

★ ★ ★

لثوان معدودة ، تجمّـد الموقف كلـه ، داخـل صالـة التشريح ، وظلّ (نور) والدكتور (حجازى) يحدقان فـى ضـابط الشـرطة ، الـذى يقـف علـى بعـد متـر واحد منهمـا ، وعينـاه تشعّان بذلـك الوهـج الأحمـر المخيف ..

ثم رفع (نور) مدفعه فى بطء حذر ، وهو يقول :

- تراجع فى بطء يا دكتور (حجازى) ، واحتم بإحدى موائد الفحص .

قال الدكتور (حجازى) فى هلع :

- احترس يا (نور) .. إنه يصوِّب إليك مسدسه بالفعل .

ثم حدَق فى جراح الضابط ، قبل أن يضيف بصوت مرتجف :

- وسبحان الله (العلى القدير) .. إنه ما زال حيًا !! جراحه ما زالت تنزف ، على الرغم من كل ما أصابه .

قال (نور) فى حزم :

- لم يعد هذا يصنع فارقًا يا دكتور (حجازى) .. لقد بدأت المواجهة ، ولا بد أن تنتهى بسقوط أحدنا للأسف ، أو ...

قبل أن يتمّ عبارته ، خفض الضابط مسدسه بغتة ، وهو ما زال يتطلّع إلى (نور) بعينيه المتوهجتين المخيفتين ، ثم ألقاه أرضًا ، عند قدمى (نور) مباشرة ، فانعقد حاجبا هذا الأخير فى شدة ، فى حين

لهث الدكتور (حجازى) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- رباه ! لماذا فعل هذا ؟!

خفض (نور) مدفعه بنفس الحذر ، وهو يقول :

- يريد إبلاغنا رسالة محدودة .

سأله الدكتور (حجازى) بأنفاس مبهورة :

- أية رسالة ؟!

أجاب فى حزم :

- السلام .

كررَّ الدكتور (حجازى) فى دهشة :

- السلام ؟!

أجابه (نور) :

- نعم يا دكتور (حجازى) .. إنه يعلن أنه ليس عدوًا .. هذه المرة على الأقل .

هتف الدكتور (حجازى) :

- ربّاه ! أهو صديق إذن يا (نور) ؟!

هزَّ (نور) رأسه فى بطء ، وهو يقول فى صرامة :

- لا يمكننى المجازفة بافتراض هذا .



وينبعث من مؤخرة عنقه لسان النار ، ثم يندفع ظلٌّ شبه آدمى مغادرًا جسده ..

ثم شدّ قامته ، وسأل الضابط فى صرامة غاضبة :

- ما الذى تريدونه منا بالضبط ؟! ما الذى أتى بكم إلى عالمنا ؟!

لم يجب الضابط تساؤلاته ، ولم تصدر عنه أية إشارة ، توحى بأنه قد فهمها ، أو حتى سمعها .

كل ما حدث هو أنه ترنّح فى بطء ، وراح بريق عينيه المخيف يخبو بسرعة ، قبل أن ينتفض جسده كله بغتة ، فى عنف شديد ، وينبعث من مؤخرة عنقه لسان النار ، ثم يندفع ظلّ شبه آدمى مغادرًا جسده ، ومندفعًا بسرعة كبيرة عبر الممر نصف المظلم ، ليختفى فى نهايته دفعة واحدة ..

وهنا تهاوى الضابط دفعة واحدة ، فاندفع الدكتور (حجازى) نحوه ، هاتفًا :

- رباه ! ترى أما زال حيًا ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فى نهاية الممر ، فى حين فحص الدكتور (حجازى) الضابط الشاب فى سرعة ، قبل أن يستطرد :

- إنه حىّ .. حىّ .. سبحان الله .. سبحان الله ..

البعض يصاب بجرح بسيط ، فيلقى حتفه بسببه ، وهذا الشاب أصابه ما أصابه ، ولم تنته حياته بعد !!

تمتم (نور) :

- الأعمار بيد الله .. إنها حكمته سبحانه .

ثم عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يستطرد فى حيرة متوترة :

- ولكن لماذا فعل هذا ؟! لماذا ؟!

هتف الدكتور (حجازى) :

- لا يوجد وقت للتفكير فى هذا الأمر الآن يا (نور) .. خذ الكمبيوتر الصغير من حقيبتى ، واذهب به إلى (نشوى) ، أما أنا ، فسأحمل هذا المسكين إلى حجرة الطوارئ .. ربما كان هناك أمل فى إنقاذه .

التقط (نور) الحقيبة ، واختطف منها الكمبيوتر الصغير ، وهو يقول :

- لا تذهب وحدك .. سأرسل (رمزى) لمعاونتك .

ثم أسرع إلى حيث ترك رفاقه ، والسؤال لا يريد مفارقة ذهنه قط ..

لماذا حدث هذا ؟!

ما الذى أراد ذلك الظلّ توضيحه أو إثباته ؟!

أمن الممكن حقًا أن تكون تلك الظلال صديقة ؟!

مستحيل !!

كل تلك المواجهات القاسية العنيفة ، لا يمكن أن تعنى أنها مخلوقات صديقة !

مستحيل !

المخلوقات الصديقة لا يمكنها أن تقتل أصدقاءها بهذا البرود ..

ولا بهذه القسوة ..

ثم إنها لو كانت صديقة ، فلماذا تتصدّى لها الدولة بكل هذا العنف ؟!

إنهم يعلمون بوجودها ، وبكل الاتصالات التى أجراها الدكتور (وائل) معها ..

حتمًا يعلمون ..

إحاطة المدينة بتلك القبة الكهرومغنطيسية ، يؤكّد أنهم يعلمون ؛ فهذا ليس بالإجراء التقليدى ، وإنما إجراء خاص للغاية ، لا يمكن استخدامه إلا فى ظروف الطوارئ القصوى ، وبأمر من وزير الدفاع ، أو القائد الأعلى ، أو رئيس الجمهورية نفسه ..

إنهم يعلمون ..

ولكن لماذا قرروا مقاتلته أيضًا ؟!

هذا لا يمكن أن يعنى أن تلك الظلال عدوة ..

إنه يعنى أن الجميع أصبحوا أعداء ، فى نظر القيادة الأمنية والعسكرية ، فور حدوث تلك الفجوة ، وانتقال الظلال الرهيبة إلى عالمنا ..

والسؤال هو لماذا ؟!

لماذا ؟!

بلغ الحجرة التى ترك فيها أصدقاءه ، فى تلك اللحظة ، فتوقف تداعى أفكاره ، وأشار إلى (رمزى) ، قائلاً :

- (رمزى) .. اذهب لمعاونة الدكتور (حجازى) ، وسألحق بكما بعد قليل .. احترسا جيدًا ، عندما تصعدان إلى المستشفى .. ربما يعود جنود الصاعقة لسبب أو لآخر .

ربت (رمزى) على كتفه ، قائلاً :

- اطمئن .

ثم أسرع لمعاونة الدكتور (حجازى) ، دون أن

يسأل حتى عما سيعاونه فيه ، فى حين سألت (نشوى) أباها :

- هل أحضرت ذلك الكمبيوتر الصغير ؟!

ناولها إياه ، قائلاً :

- ها هو ذا .

التقطت الكمبيوتر الصغير فى لهفة ، ووضعته فى حرص على المنضدة الرخامية ، ثم راحت تحل شاشته فى حرص ودقة ، وما إن انتزعتها من مكانها ، حتى التقطت من أسفلها سلكين رفيعين ، أوصلتهما بجزء من الخزانة الإليكترونية ، فى مهارة مدهشة ، وعندما انتهت من عملها ، أعادت الشاشة الصغيرة إلى موضعها ، وهى تغمغم :

- الآن يمكننا التعامل مع تلك الخزانة على نحو صحيح .

انطلقت أصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر الصغير ، فى سرعة ومهارة ، لتصنع برنامجًا مبتكرًا لحل الشفرة ، وراح (نور) و(سلوى) يراقبانها فى اهتمام ، قبل أن تهمس الأخيرة فى أذن زوجها :

- هل تعتقد أنها ستنجح ؟!
أومأ برأسه إيجابًا فى ثقة ، قائلاً :
- بالتأكيد .
ابتسمت فى حنان ، هامسة :
- كم أحب ثقتك هذه .
أجابها فى حسم :
- إنها ابنتنا .
قالت (نشوى) فى هذه اللحظة :
- لقد شارفت الانتهاء .
هتفت (سلوى) مبهورة :
- بهذه السرعة ؟!
أجابتها فى حماس :
- إننى استخدم تقنية جديدة .
ابتسم (نور) ، قائلاً :
- ألم أقل لك : إنها ابنتنا ؟!
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى اندفع (أكرم) إلى المكان ، وهو يحمل مدفعه الآلى فى تحفز ، هاتفًا :
- (نور) .. لقد عادوا .

انتفض جسد (سلوى) فى عنف ، فى حين هتفت (نشوى) فى ارتياع :
- الظـلال ؟!
أجابها فى سرعة متوترة :
- بل رجال القوات الخاصة .
انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يلتقط مدفعه الآلى ، قائلاً :
- كنت أعلم أن هذا سيحدث .
ثم سأل (أكرم) :
- كم يبعدون عن هنا ؟!
أجابه (أكرم) ، فى عصبية شديدة :
- بضعة سنتيمترات .
هتفت (سلوى) :
- ماذا ؟!
أجاب فى حنق :
- إنهم هنا .. ألا تفهمون ؟! لقد كنت أراقب المؤخرة ، عندما وصلوا من المقدمة .
هتف (نور) ، وهو يمسك كتفه فى قوة :

- ربّاه ! اتعنى أنهم الآن فى المستشفى ؟!

أشار (أكرم) بسبّابته فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- هذا ما أردت قوله بالضبط .

اتسعت عيون (سلوى) و(نشوى) و(نور) فى ارتياع ، وهتفت الأولى :

- رباه ! (رمزى) والدكتور (حجازى) .

سألها (أكرم) فى عصبية :

- أين هما ؟!

أجابه (نور) فى سرعة :

- فى المستشفى .

حان دور (أكرم) ، لتتسع عيناه فى ارتياع ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

مع آخر حروف كلماته ، تعالى وقع أقدام ثقيله ، عند المخرج الخلفى للمكان ، فأشار (نور) إلى (أكرم) ، هاتفًا فى خفوت :

- يبدو أن المواجهة قد حانت يا صديقى .

لوّح (أكرم) بمدفعه الليزرى ، قائلاً فى حنق :

- كم كنت أتمنى لو أن مسدسى معى ، فى هذه الظروف .

قال (نور) ، وهو يستعد بمدفعه فى حزم :

- ادع الله أن نخرج من هذا المأزق سالمين ، وسأبتاع لك واحدًا جديدًا .

هتف (أكرم) :

- أهذا وعد ؟!

أجابه (نور) بسرعة :

- بالتأكيد .

ثم أشار إلى زوجته وابنته ، قائلاً فى لهجة آمرة :

- اختبئا داخل أحد هذه الدواليب الكبيرة .. لا تجعلوهم يشعرون بوجودكما أبدًا .

قالت (سلوى) متوترة :

- ولكنها دواليب حفظ الموتى يا (نور) .

ابتسم فى عصبية ، قائلاً :

- إنها عجائب الدنيا والقدر يا عزيزتى .. أن تكون دواليب حفظ الموتى هى وسيلتكم الوحيدة للحياة ، ولنحمد الله على أنها خارج الخدمة الليلة ، وليست مثلّجة كالمعتاد .

كان يحاول بحديثه التخفيف من وطأة الموقف ، إلا أنه لم يكد ينتهى منه ، حتى تعالى صوت قوى ، عبر مكبِّر صوت ، من الناحية الأخرى للممر ، يقول :

ـ المقدَّم (نور) ... أنتم محاصرون .. لقد كشفنا أمر وجودكم هنا .. لم يعد لديكم سبيل واحد للفرار .

غمغم (أكرم) فى حنق :

ـ يا للأوغاد ! سنقاتل حتى آخر قطرة دم .. لن يظفروا بنا بسهولة ، ولن ..

قاطعه ذلك الصوت القوى ، وهو يتابع ، عبر مكبِّر الصوت :

ـ المقاومة غير مجدية ، خاصة وأننا قد أوقعنا بزميلك (رمزى) ، وذلك الطبيب الشرعى .. إننى أعرض عليك صفقة لا تقبل الجدل والمساومة .. صفقة تتناسب مع طبيعتك تمامًا ... حياتك مقابل حياة الباقين .. استسلم ، وسنطلق سراحهم جميعًا .. لا تضيع الوقت فى التفكير ، فكل ما أمنحك إياه هو ثوان ثلاث فحسب ، وبعدها سأنسف رأسى زميلك وهذا الطبيب الشرعى .. واحد ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يلعن المسئول عن هذا الموقف الرهيب ..

المسئول عن وضعه فى مساومة تحمل فى طرفيها نهاية حياة ..

حياة رفاقة ..

أو حياته .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(دائرة الظل)

الظلال الرهيبة

- هل يتم إعدام (نور) وفريقه، داخل المدينة المحاطة بقبة كهرومغنطيسية وقائية ؟!
- ماطبيعة تلك الظلال ؟! ولماذا انفتحت أبواب الجحيم عن آخرها فور ظهورها ؟!
- ترى كيف سيحسم الصراع هذه المرة ؟! ومن يربح الجولة الأخيرة .. (نور) وفريقه، أم (الظلال الرهيبة) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل الأرض ..



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

122



الثمن في ...
ومايعادله ...
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم : دائرة الظل